

اَجْنَحُ الْمَلَائِكَةِ الْبَلَّاشَةِ

<http://www.ebnmaryam.com>

الطبعة الثامنة

مزيّة وضيّة

١٤٢٠هـ ~ ٢٠٠٠م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

تُطلب جميع كتبنا من :

دار القلم - دمشق : ص ب : ٤٥٢٣ - ت : ٢٢٢٩١٧٧

الدار الشامية - بيروت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦

ص ب : ٦٥٠١ / ١١٣

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق

دار البشير - جدة : ٢١٤٦١ - ص ب : ٢٨٩٥

ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

وأدعو بالخير والرضوان من الله لمن أهدي إليّ نصحاً، ودعا لي بخير في
ظهر الغيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

عبدالرحمن جَبَّنة الميّداني

مكة المكرمة

في غرة رمضان ١٤٠٣ هجرية

إلى نفوسهم مرض الانحراف عن الهدف المثالي الحق، ودخل إلى قلوبهم داء الوهن، والطمع بالدنيا، وحب الشهوات، والتشاغل عن الجهاد في سبيل الله، والإخلاد إلى الأرض، فوكلهم الله إلى نفوسهم، وسلط عليهم عدوهم.

ولن يستطيع المسلمون أن يرفعوا عن صدورهم ضغط أعدائهم، وأعداء دينهم الكثيرين، ما لم يراجعوا دينهم، ويلتزموا بما يوجبه عليهم، ويجاهدوا في سبيل الله حق جهاده، أما الحروب التي خمل فيها المنتسبون إلى الإسلام شعارات وطنية، أو قومية، أو غير ذلك، مما لا يقرّه الإسلام، فلم تبج لهم إلا الخيبة والهزائم، لأن الله عز وجل لم يمدّهم فيها بعونه وتأييده، وتركهم فيها لوسائلهم، وهي وسائل أضعف من وسائل أعدائهم.

جـ- وسائل الجهاد المقدس:

نظرة إجمالية عامة إلى وسائل الجهاد المقدس تكشف أنها ذات نسق مثالي رائع. فهي تبدأ أولاً بمجاهدة النفس، ثم تثني بمجاهدة الآخرين، ومجاهدة الآخرين تبدأ بوسائل الدعوة المختلفة التي تتدرج من الأخف إلى الخفيف، فإلى الشديد فالأشد، وتراعي في كل ذلك أحوالهم النفسية والاجتماعية، ومكاناتهم ومنازلهم في أقوامهم، وتنتهي هذه الوسائل في آخر الأمر بالقيام بأعمال القتال، وفق الدواعي الذي تقتضيه، من دفاع، أو كسر أسوار تحجب عن الشعوب نفوذ أنوار الحق والهداية إليها.

وابتغاء مرضاة الله، وإعلاء كلمته في الأرض، وإقامة الحق والعدل بين الناس، والحكم بما أنزل الله، هي الغايات المثلى من الجهاد المقدس في قلوب المؤمنين الصادقين.

أما جهاد النفس فيكون بمقاومة جهلها وانحرافات الفكرية والاعتقادية بالعلم والمعرفة الحقّة، وبمقاومة شهواتها الجاحمة وأخلاقها الجانحة بوسائل التربية الفضلى والسلوك الأقوم. كمقاومة الطمع فيها بالقناعة، وتحويل أطماعها إلى ما عند الله من أجر عظيم لأهل طاعته. وكمقاومة الحسد فيها بالرضى عن قسمة الله، والاعتقاد بأن العطاء والمنع بيده، وأنه هو الذي ييسر الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر، وأن كلاً من عطائه ومنعه لا بد أن يكون لحكمة يعلمها، وقد

يكون كل منها خيراً للإنسان متى رافقته طاعة الله ورضوانه. وكمقاومة الشهوات الملحة بالصبر، وإطماع النفس بما عند الله من أجر، وتغذيتها بما أحل الله والكف عما حرم. وكمقاومة الجبن والشح فيها بوسائل الإقناع والترغيب التي تغذيها بأن الآجال والأرزاق محتومة، وتفتح أمامها أبواب الأمل والرجاء بما أعد الله لباذلي أرواحهم وأموالهم في سبيله من أجر عظيم وثواب جزيل، وباستثارة كوامن الإيمان في القلب، حتى تندفع النفس إلى مرضاة الله مشحونة بالعاطفة بقوة الإيمان، ومهدية السبيل بنور الإيمان. وهكذا، وقد كان الصدر الأول من المسلمين يسمون جهاد النفس الجهاد الأكبر، فإذا قفلوا من معركة من معارك القتال مع عدوهم قالوا: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، أي: إلى مجاهدة نفوسهم.

وأما جهاد الآخرين فله وسائل شتى، يرتقي المجاهد فيها على سلم متعدد الدرجات، وليس كل مخالف عدوًّا ما لم يمارس عداوته بشكل عملي، والمخالفون في نظر حملة لواء الجهاد المقدس جاهلون ومرضى، والرسالة الخيرة التي يحملها العلماء الأصحاء إنما هي تعليم الجاهلين، وتطبيب المرضى، ومساعدتهم، والرفق بهم، والأخذ بأيديهم في طرق الصحة والسلامة الفكرية والقلبية والنفسية.

لذلك تعين على هؤلاء المجاهدين أن يبدأوا من أول درجة من درجات سلم الجهاد، وهي درجة الدعوة إلى الله على بصيرة، ضمن الأساليب الحكيمة. ووسائل الدعوة هي كل ما يمكن أن يوصل فكرة الحق وتطبيقاته إلى عقول المعارضين ونفوسهم وأعمالهم.

أ- فتكون بالدعوة الحكيمة باللسان، ويقتدي المجاهد في ذلك بجهاد الدعوة الذي قام به الرسول صلوات الله عليه، وقامت به النخبة الممتازة من أصحابه وتابعيهم بإحسان، وتتضمن الدعوة الحكيمة باللسان، الإقناع بالحديث الخاص، والإقناع بالخطابة العامة، والمجادلة بالتي هي أحسن، ويدل على ذلك قول الله تعالى في سورة (النحل/١٦ مصحف/٧٠ نزول):

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾

ويمكن أن يكون المراد من الحكمة وسائل الإقناع بالعلم والحجج المنطقية البرهانية، وأن يكون المراد من الموعظة الحسنة وسائل التأثير الخطابي بالترغيب والترهيب، أما الجدل فهو صراع الأدلة والحجج وفق أصول المناظرة السليمة من الممارسة والمغالطات.

ب - وتكون أيضاً بالدعوة عن طريق الكتابة والنشر، في نثر الكلام أو شعره، بتأليف المؤلفات، وكتابة المقالات، ونظم القصائد والدواوين، وإعداد البيانات، وتوزيع المطبوعات، والعمل على نشر الجيد النافع منها، إلى غير ذلك من كل مكتوب نافع يدخل إلى النفوس عن طريق الإقناع الفكري، أو لتأثير الوجداني.

ج - وتكون أيضاً بالدعوة العاملة الصامتة، عن طريق الأسوة الحسنة، وذلك بأن يكون الداعي في نفسه قدوة حسنة محبة، يؤثر بلسان حاله العلمي التطبيقي، فيقتدي به الآخرون اعتقاداً وسلوكاً، قولاً وعملاً.

د - وتكون أيضاً بالتربية والتعليم، والبدء بهذه الوسيلة ينبغي أن يكون منذ المراحل الأولى للطفولة، لأنها حينئذ تكون أنفذ إلى أعماق النفس وأكثر تأثيراً وأبقى مع الزمن.

هـ - وتكون أيضاً ببذل عرض الحياة الدنيا من مالٍ أو متاع، أو ببذل الخدمات والمعونات، لتأليف القلوب على الخير، وجلبها إلى تقبل الهداية، فللمعونات والصلوات المادية والمعنوية آثارها في السيطرة على القلوب واستمالة النفوس، وإزاحة العقبات منها، وما أكثر ما كان رسول الله ﷺ يبذل من ذلك لتأليف القلوب، إضافة إلى كون حب العطاء خلقاً أصيلاً فيه صلوات الله عليه.

وبالجملة: فعلى الداعي المجاهد أن يتدرج في وسائل الدعوة، وأن ينزل الناس منازلهم، وأن يقتدي بأساليب الدعوة التي قام بها أنبياء الله ورسله.

د - استخدام وسائل العنف في الجهاد المقدس:

إذا لم تجد لدى القيام برسالة الجهاد المقدس الوسائل الهينة اللينة البيانية والتربوية والترغيبية المختلفة، دعت الضرورة إلى اللجوء إلى وسائل أخرى تترقى فيها أساليب العنف شيئاً فشيئاً، مع ضبط النفس وعدم اتباع الهوى، والرغبة بالانتصار لله فقط، دون تدخل عوامل نفسية أخرى.

فمن هذه الوسائل استخدام القوة، ويكون ذلك بتسخير قوة السلطان المعنوية ثم المادية لهداية الناس إلى الخير، وإلزام المنتسبين إلى الإسلام أو الخاضعين له بتطبيق أحكامه، ولاستخدام قوة السلطان وجوه تطبيقية كثيرة جداً:

منها إصدار القرارات والتنظيمات، وتوجيه الأوامر المكتوبة، وترتيب الجزاءات المعنوية والمادية، واعتبار الالتزامات الدينية جزءاً من الكفاءات التي تدخل في شروط التوظيف والترقيات، واعتبار عدم الالتزام بها إخلالاً بالواجبات المسلكية التي تستدعي الإنذار ثم المعاقبة، ومنها تنفيذ الأحكام الشرعية على الجناة والمجرمين، إلى غير ذلك من وسائل كثيرة.

وقد يغدو فريق من مخالفين الإسلام أعداءً متربصين أو محاربين، لذلك يجد حملة الجهاد المقدس أنفسهم أمام أمرٍ لازب، إنهم دعاة هداة، ولكن فرض عليهم المخالفون المعادون أن يتخذوهم أعداءً. لذلك كان لابد لحملة لواء الجهاد المقدس من اتخاذ وسائل الدفاع الكافية، والمباذلة في بعض الأحيان قبل المباغته، مع التزام شروط رسالتهم الربانية التي يضطلعون بمهامها، ويكون ذلك بأمرين:

الأمر الأول: إعداد المستطاع من القوة، والاجتهاد في إعدادها حتى تربو على قوة العدو، من مالٍ، وسلاحٍ، ورجالٍ، وخبراتٍ، وغير ذلك، قال الله تعالى في سورة (الأنفال/ ٨ مصحف/ ٨٨ نزول):

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ، عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (١٦).

الأمر الثاني: القتال لإعلاء كلمة الله، وتكون هذه الوسيلة في آخر الأمر، حينما لا تجدي كل الوسائل الأخرى من دونه، وحينما يصبح حملة لواء الجهاد المقدس تحت الخطر الهاجم من قبل عدوهم.

وإذا ألجأت الضرورة إلى سلوك سبيل القتال فإن القتال يستدعي الجود بالنفس، والجود بالنفس أقصى غاية الجود.

ولذلك كان من يجود بنفسه في هذا السبيل حظ الشهادة في سبيل الله، وكان للمقاتل في هذا السبيل من الضمان الإلهي أن يدخله الله الجنة، وأن ينال ما لا يوصف من أجر عنده.

ولكن للقتال في سبيل الله ركناً أساسياً لا بد منه، وهو أن يكون في سبيل الله، ويعني هذا الركن العام في دلالاته ما يشمل تحديد الباعث له على الخروج إلى القتال، والمطلب الذي يسعى إلى تحقيقه في الدنيا، والغاية القصوى التي يرجوها عند الله.

وذلك لأن الضمان الذي ضمنه الله للمجاهدين، وإنما هو لمن خرج مجاهداً في سبيله لا يخرج به أي دافع دنيوي، وإنما يخرج به أمور ثلاثة:

أولها: باعث أسمى في نفسه يحركه إلى الخروج مجاهداً، ألا وهو باعث الإيمان بالله، والتصديق برسله، أما من خرج للقتال في سبيل ضلالات شيطانية إلحادية، أو في سبيل وثنيات مادية، فإنه يعرض نفسه إلى تهلكتين، تهلكة الموت أو القرع في الدنيا، وتهلكة العذاب الأليم في الآخرة.

ثانيها: مطلب يسعى إلى تحقيقه في الدنيا إذ يقذف بنفسه إلى معترك الموت بإذن الله وطاعته فيقتل أو يقتل، ألا وهو نشر دين الله وإعلاء كلمته، وقد أوضح هذا الأمر الحديث الذي رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، (أن النبي ﷺ سئل فليل له: يا رسول الله، الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، والرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل غضباً، فمن في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»).

ثالثها: غاية قصوى يرجوها عند الله، ألا وهي نيل رضوانه، وبلوغ جنته، والظفر بما أعد الله من أجر عظيم للمجاهدين المقاتلين في سبيله وأما الظفر في الدنيا فهو أمرٌ إن قضاه الله فتلك حُسنٌ عاجلة أكرم الله بها المؤمنين المجاهدين في سبيله، وإن لم يقضه الله فقد حقق المؤمنون غايتهم القصوى، وهي نيل رضوان الله وجنته، والأجر العظيم الذي أعده، ولذلك خاطب الله المؤمنين بقوله تعالى في سورة (النساء/ ٤ مصحف/ ٩٢ نزول):

﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝﴾ .

وهكذا تنحصر دوافع الجهاد المقدس: بالباعث الأسمى وهو الإيمان بالله والتصديق برسله، وبالمطلب العاجل وهو العمل على نشر دين الله وإعلاء كلمته، وبالغاية القصوى وهي ابتغاء رضوان الله ونيل ثوابه الذي أعده للمحسنين، وهذه الدوافع هي على النقيض من دوافع العدوان الذي يقوم به أعداء دين الله .

هـ- الشروط التي يجب توافرها أثناء القتال في جهاد مقدس:

حينما تلجئ الضرورة حملة رسالة الجهاد المقدس أن يقفوا موقف القتال في مواجهة من ناصبهم العداوة، وكادوهم وكادوا دينهم، فإن للقتال شروطاً تلزمهم بها رسالة الجهاد نفسها.

فبعد تحديد الغاية من القتال، وإعداد العدة له، والتصميم على مباشرته - ابتغاء نشر الدين، ودفعاً لعدوان المعتدين - يجب على المقاتلين في سبيل الله أن يتقيدوا بالمنهج التطبيقي الذي شرعه الله في القتال، وأن يلتزموا بجميع الشروط التي أمر الله بها فيه، وأن ينتهوا عما نهى الله عنه .

ونستطيع أن نجمل الشروط التي يجب توافرها اقتباساً من الآيات القرآنية في القتال، وذلك فيما يلي:

الشرط الأول: وحدة الغاية، وذلك بأن تكون غاية المقاتلين واحدة، وهي ابتغاء مرضاة الله، بالعمل لنشر دينه وإعلاء كلمته، والحكم بما أنزل

لعباده، ودليل هذا الشرط من القرآن قول الله تعالى في سورة (التوبة/ ٩ مصحف/ ١١٣ نزول):

﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١).

وقوله تعالى في سورة (الأنفال/ ٨ مصحف/ ٨٨ نزول):

﴿ وَفَلْيُلْهِمِمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كَلِمَةُ اللَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوَ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٢).

الشرط الثاني: وحدة صف المقاتلين وتماسك جماعتهم، وذلك لأن تفرق صفوف المقاتلين دون خطة موحدة جامعة مبدد للقوى، موهن للعزائم، ممكن للعدو من أن يظفر بكل قسم على حدة، ودليل هذا الشرط من القرآن قول الله تعالى في سورة (الصف/ ٦١ مصحف/ ١٠٩ نزول):

﴿ إِنْ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنَيْنَ مَرْصُوصٍ ﴾ (٣).

الشرط الثالث: الاعتماد على الله في تحقيق النصر، وعدم الاغترار بالنفس، وهذا الشرط مهم جداً لإحراز النصر، لأن الاعتماد على الله مع ملاحظة أوامره بوجوب بذل قصارى الجهد لنيل تأييده ونصره من شأنه أن يضاعف القوة، ويزيد من إمكانيات القتال، عند حملة رسالة الجهاد.

أما الاغترار بالنفس فإنه يفضي إلى الاستهانة بقوة العدو، ومع الاستهانة يحصل التهاون والتباطؤ والتواكل، وهذه من أبرز عوامل الخذلان ومسيباته. ودليل هذا الشرط من القرآن قول الله تعالى في سورة (الأنفال/ ٨ مصحف/ ٨٨ نزول):

﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٤).

وقوله تعالى في سورة (التوبة/ ٩ مصحف/ ١١٣ نزول):

﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَافَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴾ (٥).

الشرط الرابع: شدة البأس في القتال، وذلك لأن شدة البأس تجعل قلوب الأعداء فريسة الخوف، ومتى وجد الخوف سبيله إلى القلوب انهارت قوى الهجوم، ثم تنهار من ورائها قوى المقاومة ويفضل المقاتل حينئذ الفرار أو الاستسلام، ودليل هذا الشرط من القرآن قول الله تعالى في سورة (الأنفال/ ٨ مصحف/ ٨٨ نزول):

﴿فَإِذَا تَشَفَّفْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَدَبِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

فقوله تعالى: «فشرد بهم من خلفهم» يدل على الإلزام بإيقاع البأس الشديد في العدو المقاتل حتى تنخلع قلوب الذين من خلفهم ذعراً، فيشردوا ويفروا من وجوه المقاتلين من المسلمين، طلباً للسلامة، وإيثاراً للعافية، وخفاة أن يقع بهم مثل هذا البلاء العظيم.

الشرط الخامس: الثبات والمصابرة وعدم تولية الأدبار، مع الاعتصام بالإكثار من ذكر الله تعالى، وذلك لأن من طبيعة الثبات والمصابرة أن تفل حد العدو المقاتل، وتسقيه كؤوس اليأس من الظفر، وبذلك تنهار قوته، ويساعد على الثبات والمصابرة الاشتغال بذكر الله والأمل بمدده المادي والمعنوي، ويدل على هذا الشرط من القرآن قول الله تعالى في سورة (الأنفال/ ٨ مصحف/ ٨٨ نزول):

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

وقوله تعالى في سورة (الأنفال) أيضاً:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴿٤٩﴾ وَمَنْ يُولُوهُمْ يُومِدْ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَكَءَ بِقَضْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٠﴾﴾.

الشرط السادس: طاعة القيادة، وعدم التنازع في الأمر، ذلك لأن فقد الطاعة يجعل القيادة غير قادرة على استعمال القوى في مواجهة العدو، فتجمد القوى أو تتصارع فيما بينها، أو تستعمل في غير صالح المعركة، وذلك من

أسباب الفشل الكبرى، كما أن التنازع في الأمر باختلاف وجهات النظر في القتال يؤدي إلى هذه النتائج نفسها التي تسبب الفشل، وليس من شأن حملة رسالة الجهاد المقدس العصيان والتنازع، ودليل هذا الشرط من القرآن قول الله تعالى في سورة (الأنفال) أيضاً:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (٤١).

وقوله تعالى في سورة (آل عمران/ ٣ مصحف/ ٨٩ نزول):

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا أُرْسِلُكُمْ مَا تَاجِبُونَ ۖ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٦).

وبتحقيق هذه الشروط في القتال مع شرط إعداد المستطاع من القوة الكافية السابق له، ومع تحديد الهدف منه كما أمر الله، يستطيع حملة رسالة الجهاد المقدس أن يظفروا دائماً بالنصر على أعداء الإسلام.

و- الروح المعنوية العالية لدى حملة رسالة الجهاد المقدس:

حينما تلجىء الضرورة حملة رسالة الجهاد المقدس أن يقفوا موقف المقاتلين في مواجهة أعدائهم وأعداء دينهم فإن الروح المعنوية سترتفع في قلوبهم ارتفاعاً عالياً جداً.

وذلك لأنهم يتلمسون في أنفسهم أن الباعث لهم على القتال أنبل غاية تقصد، ويجدون أنفسهم مندفعين إلى التقيد بشروط القتال التي حددها الله لهم، وأمرهم بالتزامها، ويشعرون بأن شوقاً يقذف بهم إلى الظفر بما وعدهم الله، إما النصر وإما الشهادة وجنة الخلد.

وما من جيش استجمع كل ذلك إلا نزع الجبن من قلوب أفرادها، فلم يخشوا الموت، وأقبلوا على القتال وهم شديداً بالبأس، ثابتوا الأقدام، وعندئذ يجد هذا الجيش معونة الله المعنوية والمادية مصاحبة له مهما كر أو فر، في مساجلات القتال.

ومن المستبعد جداً أن يصاب في وقت من أوقاته بالضعف أو التخاذل والوهن، مادام مستجمعاً لما سبق بيانه، وذلك لأنه على يقين بأن وعد الله بالنصر للصادقين معه، والمخلصين له، لا بدّ محقق، فهو شديد الثقة بذلك، كيف لا وهو فيما يقوم به إنمّا يقاتل عدو الله وعدو دينه، وعدو رسالة الخير التي أمر الله بها عباده، وهو يعتقد أنه يقاتل بإذن الله وأمره، مؤيداً بعون الله وقهره، موعوداً بأجر الله ونصره.

من أجل كل ذلك ترتفع قوة المقاتلين في سبيل الله بنسبة ما في قلوبهم من إيمان وصبر، وصدق مع الله، حتى يكون الواحد كفواً للعشرة من العدو في الحد الأعلى، وكفواً لاثنتين من العدو في الحد الأدنى.

ويدلّ على ذلك قول الله ت عالي في سورة (الأنفال/ ٨ مصحف/ ٨٨ نزول):

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ حَرِيضُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَاعِدُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ١٣ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ عَزَمَ عَلَيْكُمْ وَعَلَّمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ١٤﴾.

وكذلك تكون قوة المؤمنين الصابرين بخلاف الذين يخرجون بطراً ورتاء الناس، ويقاتلون حمية وعصبية، أو يقاتلون للفخر والعلو في الأرض بغير الحق، أو يقاتلون ليثنى عليهم بين الناس بالشجاعة، أو بغية الوصول إلى مال، أو الحصول على شهوات ولذات، أو الوصول إلى مجد دنيوي لا يهدف إلى غاية من غايات الجهاد المقدّس، أو يقاتلون في سبيل فرد أو جماعة من الناس، أو غير ذلك من أمور لا تعادل غايتها بذل الروح في سبيلها، فإن هؤلاء إن خرجوا إلى القتال فما أسرع ما يدب الذعر إلى قلوبهم، ويصيبهم الخوف والهلع، ثم إنهم في أغلب أحوالهم متى وجدوا لأنفسهم منفذاً للفرار من المعركة أخذوا سبيلهم إليه، إلا أن يغلب على ظنهم أنهم بقوتهم المادية منتصرون، وأن عدوهم ضعيف أو جبان، أو أن يقوم في أنفسهم أنهم قد أمسوا ملزمين بالقتال، وإلا قتلوا وأبيدوا. ومن أجل ذلك نلاحظ أن الجيوش

التي لا تحمل رسالة جهاد مقدّس تعاني أكبر ما تعاني مما يسمى عند العسكريين بفقد الروح المعنوية، وتحاول قياداتها رفع هذه القوة بوسائل مختلفة دعائية ونفسية ومادية، ومن الوسائل المادية ما يتم به سلب الشعور العاقل عند الجندي المقاتل، عن طريق المسكرات، ولكن كل وسائلهم لا تحقق بعض النتائج التي يحققها الإيمان.

أما الجيوش التي تحمل رسالة الجهاد المقدّس بصدق فإنها قلما تصاب بفقد الروح المعنوية، ولو لم يتحقق لها الظفر المادي على العدو، لأن كل مقاتل فيها يعتقد أنه قد ظفر بما يقاتل من أجله، وهو بلوغ رضوان الله، واستحقاق الأجر عنده، وأنه يقاتل لغاية هو يرجوها ويطلبها، ولم يفرض عليه القتال لمصلحة غيره من الناس.

أما النصر المادي فيعتقد أنه بيد الله يؤتيه من يشاء لحكمة يعلمها، وحكمة الله غير متهمة في قلوب المؤمنين.

وقد لاحظ أعداء الإسلام هذه العقيدة القوية الراسخة التي تجعل جيوش حملة رسالة الجهاد المقدس كأنها الجبال الراسيات قوة وثباتاً، وامتنحوها بشكل عملي خلال قرون، فوقفوا أمامها وقد مستهم صدمة عنيفة من الذعر والدهش والخيرة، ثم لم يجدوا سبيلاً لتفتيت هذه القوة الهائلة إلا بأن يأتوا إلى جيوش رسالة الجهاد المقدس فيفرغوها من سر قوتها الحقيقية، ويضعوا مكانها قوى خلبية باردة، ثم يوجهوا عليها ضرباتهم القاصمة، ورأوا أنه لن يتم لهم الظفر عليها إلا بذلك، وكذلك فعلوا، فوجهوا جهودهم لإزالة قوة الإيمان بالله، وتهديم البواعث على الجهاد المقدس، وأتبعوا ذلك بإلغاء شروط القتال في سبيل الله، ووضعوا مكان كل ذلك قوى صورية تعطي صوتاً عظيماً مدوياً، ولكنها لا تحدث إلا أثراً يسيراً، وقد لا تحدث أي أثر إلا أثراً ضد حاملها، ووضعوا مكان الشروط الربانية شروطاً أخرى، فأحلوا محل الاعتماد على الله الاعتماد على إمدادات الدول الطامعة ذات المصالح الشخصية، والاغترار بالنفس، وأحلوا محل ذكر الله عبارات قومية وعنصرية، وأغانٍ مشحونة بتبجحاته حقيرة، وحميات جاهلية، وبردوا حرارة الاندفاع الحقيقي إلى القتال، ففقدت

الجيش المسلمة بذلك عناصر قوتها الحقيقية، فكيف يتم لها الظفر بعد ذلك على عدوها؟!

(٣)

أهداف محاولات التسلط المادي المرتبط بالدوافع العدوانية

سجل تاريخ الإنسان القديم والحديث أنواعاً من التسلط المادي المرتبط بالدوافع والغرائز الفردية لذوي سلطان في الأرض، أو الدوافع والغرائز الجماعية لأمم وشعوب، وكان منها أمثلة مفرطة في الهمجية، وأمثلة دون ذلك، وكان منها أمثلة مقنعة بأثواب نفاق مزورة، تدعي الرقي والتهديب، وهذه أكثرها مكرراً، وأبعدها غوراً، وأطولها مدة استقرار في البلد المغلوب على أمره.

وأهداف هذه الأنواع من التسلط لا تعدو أن تكون أهدافاً توسوس بها مطامع النفوس وشهواتها، وغرائزها ونزواتها، وأهواؤها وأحقادها.

وقد تتحكم هذه الوسوس بإرادة صاحب سلطان قوي، أو تتحكم بإرادة بطانته المسيرة لأمره، فيلتفت صاحب السلطان يمينه ويسرة، فيجد قوة كبيرة من حوله رهن إشارته وطوع أمره، ويرى أنها قادرة على تحقيق مطامعه في التسلط، فيسخرها في ذلك.

وقد تتوسع حلقة هذه الوسوس فتكون في أمة بأسرها ضد أمة أخرى، أو في شعب ضد شعب آخر، أو في قبيلة ضد قبيلة، وحيثما ترى هذه الحلقة الموسعة أن لديها من القوة ما يمكنها من التسلط على ما تطمع به، تتحرك في محاولة التسلط، وتسخر قواها المادية في سبيل تحقيق مطامعها الأنانية.

وقد تتوسع حلقة هذه الوسوس توسعاً ثانياً فتكون في مجموعة أمم أو شعوب تشعر فيما بينها بجامعة ما تجمعها، ضد مجموعة أخرى من الناس، تتسع حيناً وتضيق حيناً آخر بحسب مقتضيات الظروف المواتية للقيام بأعمال التسلط.

ولا تعدو أنواع التسلط الذي يراد منه تحقيق الأهداف التي توسوس بها

دوافع النفوس الأنانية، أن تكون أنواع تسلط همجي مدنس بالقذارات الفكرية والنفسية والتطبيقية، مهما تفاوتت الصور التطبيقية فيما بينها، في القدرة على إخفاء همجيتها أو عدم القدرة على ذلك.

إنها على اختلاف صورها مظاهر للربغة النفسية بالعدوان على حقوق الآخرين، ولكن بعض هذه المظاهر ذكي مكر متمدن، وبعضها بدائي همجي جاهل، وفي باطن كل من المظهرين تقبع نفسية ذئب مجرم نهم إلى الافتراس، إلا أن الخطة التنفيذية في القسم الأول خطة ثعلب والحركة حركة إنسان، أما القسم الثاني فخطة وحركاته وحشية بشعة في صورة جسد إنساني، وبين المرتبتين الذكية المتمدنة والبدائية الهمجية مراتب متعددة، تختلف فيما بينها بحسب قربها أو بعدها عن مظاهر التمدن أو مظاهر الهمجية.

ونضرب مثلاً للعدوان الذكي الماكر المتمدن بالطبيب المجرم الذي طمع بالمال الوفير، فاتفق مع زوجة الرجل الثري على قتله في صورة طبية خفية، لا تتنبه إليها يد العدالة، مقابل عطاء مغر تدفعه إليه، إذ هيأ لها فرصة ورائة زوجها الثري، والتخلص منه لتتزوج بأخر تهواه. وأما مثل العدوان الهمجي فيكون بأن تتفق هذه الزوجة مع نفر من متوحشي الغابات على قتل زوجها بالصورة التي اعتادوها في صيد الوحوش والحشرات، وهذه الصورة بعيدة طبعاً عن كل مظهر من مظاهر القتل المتمدن.

فالباعث في كل من الصورتين واحد، والغاية واحدة، ونسبة العدوان والظلم في كل منهما واحدة أيضاً، والجريمة في كل منهما هي الجريمة نفسها، إلا أن الصورة الأولى قد كانت صورة ذكية ماهرة متمدنة أما الصورة الثانية فقد كانت صورة بدائية همجية متوحشة، تنفر منها طبائع المتمدنين.

واختلاف الصورة في فلسفة الجريمة لا يؤدي إلى الحكم بأن إحداها أخف من الأخرى في نسبة الجريمة، نظراً إلى أن البواعث النفسية، والغاية التي هي الحصول على المال الحرام، والطريق إلى ذلك وهو العدوان بالقتل كلها واحدة، ولم يختلف بين الصورتين إلا شكل القتل فقط، إذ تم أحد الشكلين بالوسيلة التي استطاع أن يتوصل إليها الطبيب المثقف بالثقافة المتمدنة الراقية،

بينما تمّ الشكل الآخر بالوسيلة التي وقفت عندها معارف الهمجي المتوحش، البعيد عن المعارف المدنية وأساليبها.

وهكذا تكون أنواع التسلط المادي الذي تدفع إليه أهواء النفوس وأحقادها ومطامعها وغرائزها وشهواتها، ونشاهد من أمثلتها في العالم الحديث تحركات جيوش أجنحة المكر الثلاثة، وشر ما في هذا التسلط أن يوجه ضد حملة رسالة الخير والهداية للإنسانية جمعاء، وأن يعلن عداؤه للإسلام، حينما نبتت له غرسة، أو ظهرت له دعوة.

وباستطاعتنا أن نكشف الغطاء عن طائفة من البواعث النفسية الأنانية، التي تدفع مجرمي التسلط المادي المندس بالمطامع والشهوات والأهواء والغرائز والنزوات والأحقاد السود، إلى العدوان على غيرهم من الأمم والشعوب.

فلدى البحث النظري والبحث التاريخي يتبين لنا عدد من هذه البواعث، ونذكر منها البواعث التالية:

١- الباعث الأول: الرغبة بإشباع الشهوة إلى الحكم والسلطان، وحب الاستيلاء على كل شيء، وهذه نزعة ربوبية تتحكم ببعض النفوس البشرية.

٢- الباعث الثاني: الرغبة بابتزاز الأموال، والاستيلاء على مصادر الثروات إما حباً بالمال وافتتناً به واستزادةً منه، وإما لتسخيره في تنمية القوة، أو تحقيق مطالب الأنفس وشهواتها.

٣- الباعث الثالث: الرغبة باحتلال أرض ذات مناخ أجود أو طبيعة أجمل من أرض الطامع بالتسلط، طلباً للمتعة، أو حباً بالتفاخر والتكاثر بين الناس. أو الرغبة باحتلال أرض ذات مركز له أهمية تجارية أو سياسية أو عسكرية أو دينية في العالم.

٤- الباعث الرابع: الرغبة بتسخير الشعب المطموع به في الأعمال المدنية الزراعية أو الصناعية أو العمرانية أو غيرها، أو تسخيره في الأعمال العسكرية، وذلك بتجنيد مقاتليه لقتال أعداء قوة التسلط، واستخدامهم

في الأغراض التي تقوم بها جيوش هذه القوة.

٥ - الباعث الخامس: الرغبة بالتوسع في الأرض للاستيطان أو الاستغلال، ولا تتحقق هذه الرغبة إلا بمزاحمة السكان الأصليين، أو بطردهم من أرضهم، أو بإبادتهم وإفنائهم.

٦ - الباعث السادس: التنفيس عن كراهية موروثه وأحقاد قديمة، والرغبة بالانتقام من أمة من الأمم، أو دين من الأديان، أو مذهب من المذاهب الفكرية أو الاجتماعية، التي كان لها نفوذ ما عليهم أو على أسلافهم في حقبة من الزمن، ويكون هذا التنفيس ضد العقائد والمذاهب بمحاولات هدم العقائد والمذاهب الصالحة، ونشر الأفكار الفاسدة الضارة، وإحلالها محلها.

٧ - الباعث السابع: الرغبة بإرضاء نوازع الحسد الذي يأكل قلوب طائفة من مجرمي التسلط، ولا تتحقق هذه الرغبة إلا بسلب كل أسباب النعمة التي يتمتع بها المحسودون، وذلك عن طريق استخدام القوة وبسط السلطان، أو عن طريق المداهمة بالغارات العدوانية وإتلاف أسباب النعمة التي أثار داء الحسد في نفوس الباغين.

٨ - الباعث الثامن: خوف صاحب السلطان على سلطانه من القوة التي يتمتع بها قادته وضباطه وجنوده، فيحاول أن يتخلص منهم بتوجيه طاقاتهم الحربية لقتال شعوب غير خاضعة لسلطانه، ويغريهم باستباحة أموالهم ونسائهم وذرائعهم إذا ظفروا بهم، وغرضه من ذلك شغلهم أو صرفهم عن التفكير بإزاحته واحتلال مركزه، وتدبير المؤامرات ضده.

٩ - بواعث متفرقة: وتوجد بواعث أخرى متفرقة، لا قيمة لها بذاتها عند الناس، إلا أن بعض ظروف الاحتكاك والتنافس المصحوب برعونات فكرية ونفسية جاهلية، قد تولد مضاعفات غشبية وحميات وعصبية تؤدي إلى العدوان والتسلط. وقد تتذرع بعض هذه البواعث بذرائع التفوق العرقي أو الحق الإلهي، كمطامع هتلر وموسوليني، كمطامع اليهود الذين

يخططون لحكم العالم، زاعمين أنهم شعب الله المختار.

١٠ - اجتماع عدة بواعث للعدوان: فقد تجتمع عدة بواعث للقيام بعدوان أمة على أمة وظاهر أن أي باعث من هذه البواعث لا يعتبر مشرفاً في مستوى المجد الإنساني، والقيم الأخلاقية الكريمة، لأي متحرك به، ولذلك نلاحظ أن معظم الذين يتحركون بواحد أو أكثر منها لقتال الأمم والشعوب عدواناً وظلماً - بغية التسلط عليها، للانتقام منها، أو للظفر بما لديها من نعم وخيرات مادية أو معنوية - لا يُعربون عن بواعثهم الحقيقية، وإنما يجعلون فوقها أقنعة مزورة، ويسوقون دونها المبررات الكثيرة الكاذبة، لتغطية الأهداف الحقيقية لتحركاتهم، وقد يفتعلون مثيرات الغضب لتأتي تحركاتهم العدوانية في لباس المؤدب، أو في لباس المنتقم.

ومن المبررات التي اصطنعتها الدوائر الاستعمارية لصور الاستيلاء الذي فرضته على أمم وشعوب كثيرة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، مزاعم التمدين والتحضير والتعليم والمساعدات الصحية والاجتماعية، والحقيقة أن معظم هذه المزاعم لم تكن إلا ستائر فقط، والغرض منها خداع الرأي العام العالمي، وتخدير الشعوب التي ستدفع ضريبة استكانتها وذُها، من أموالها ورجالها ودمائها وذرايعها ومبادئها وعقائدها وأخلاقيها.

وقد كانت هذه المبررات ضرورية لها، وذلك لإحكام خططها في الاستيلاء والتسلط، ولولا ذلك لظلت الشعوب في حالة صراع مستمر لقوى الاحتلال الأجنبي لأرضها، الأمر الذي يجعل قوى الاحتلال في حالة قلق دائم، واضطراب مستمر، ثم لا يمكنها ذلك من تحقيق رغباتها، لأن رغباتها المادية أو المعنوية لا يمكن تحقيقها إلا في جو من الاستقرار والطمأنينة، يضاف إلى ذلك الأعباء المتتابعة التي ستثقل كاهلها من جراء حركات التحرير الوطني، واضطرار السلطة المستولية لإخماد نيرانها المتأججة.

وهكذا تظل صور التسلط المادي المندس بالمطامع والشهوات والغرائز والأحقاد والنزوات بين باعث عدواني يحرضها، وغلالة مزورة خادعة تسترّها أو

لا تسترها، وجرائم عدوانية وحشية ترافقها، وقد اكتوى العالم الإسلامي ومازال يكتوي بنيران قوى التسلط عليه، المباشر أو غير المباشر، من المعسكرين الغربي والشرقي، ضمن البواعث الشخصية الأنانية التي سبق ذكرها بشكل مجمل، وفيما يلي شرح هذه البواعث:

١ - الرغبة بإشباع الشهوة إلى الحكم والسلطان

قد تكون الشهوة إلى الحكم والسلطان غريزة في معظم النفوس الإنسانية، ومن الثابت أنها لدى بعض القياديين نامية جداً وموجهة لمعظم أعمالهم، وهذه الغريزة من أقوى الغرائز ذات الأثر التاريخي العام، بما فيها من جموح وطموح لا يحققان وجودهما إلا بإخضاع الآخرين، والتغلب عليهم في ميادين الصراع والسبق والتنافس، إلا أن لها ما يكبح جماحها، ويقيدها بقيود خلقية كريمة، كما أن لها صوارف تصرفها وتحولها إلى ميادين تنافس لا مزاحمة فيها، لأنها تتسع لكل متسابق كريم طالب للمجد.

لكنها حينها تترك دون قيد يقيدها أو صارف يصرفها فإنها ربما تغدو أخطر باعث مدمر للكون، مهلك للحرث والنسل، موصل إلى ادعاء الربوبية، إذا تهيأت لها الأسباب المساعدة على ذلك.

وأعظم القيود التي تكبح جماحها قيود الإيمان بالله، وخافة عقابه وانتقامه، ورجاء فضله وإنعامه، أما الصوارف التي تصرفها فيأتي في مقدمتها توقع مسؤوليتها الكبرى، التي تلقى على صاحب السلطان، وملاحظة أعبائها الجسام التي ينوء بحملها أفذاذ الرجال، والزهد بما في السلطان من منافع ذاتية دنيوية، أو جاهٍ عريض، أمام عظم المسؤولية، وثقل الأعباء، وبذلك فقد تضطر الأمة إلى أن تدفع الصالحين للحكم إلى سدته دفعاً، دون أن يكونوا شرهين له، جاعحين إليه، يقاتلون الناس جميعاً - لو استطاعوا - من أجل اعتلاء سدته.

ولهذه الصوارف الدينية قوة على نقل ما في النفوس من طمع بمظاهر الحكم والسلطان، إلى الطمع بالتزود من المعارف والتسابق فيها، أو الطمع

بابتغاء مرضاة الله عن طريق التنافس في فعل الخير، أو الطمع بالجهاد في سبيل الله لهداية الجاهلين وإرشاد الضالين، والنكاية بأعداء الحق والخير والهدى، الجاحدين المعاندين، الذين يكيدون دين الله كيداً شديداً، ويصدون الناس عنه، ويقاتلون المؤمنين به، ويريدون إطفاء نور الله بأفواههم.

وهكذا تستطيع الصوارف الدينية إجراء التحويلات النفسية لشهوات الحكم الأنانية، وهذه التحويلات تجعل طاقات العمل المختلفة تتوجه لتحقيق سعادة الناس، بعد أن كانت موجهة توجيهاً أنانياً ينجم عنه شرور كثيرة، وعدوان وظلم، وآلام جسيمة للمجتمع البشري.

ولن تتم هذه التربية التحويلية بصورة فضلى إلا في ظل تربية دينية صحيحة ولا نجد لها صورة صحيحة مثلى إلا في الإسلام، الذي يعمل على التخفيف منها حتى آخر حدّ يمكن أن تصل إليه مجموعة بشرية.

وكم جرّ باعث الشهوة إلى الحكم والرغبة بالسلطان على الناس عبر التاريخ الطويل من ويلات ونكبات جسام، في حروب طاحنة، أزهرت فيها أرواح، وأريقَت فيها دماء، وأتلفت فيها خيرات، وبددت قوى وطاقات، ودرست مدن وحضارات، وهدّمت مساجد وبيع وصلوات، لاسيما حينما يضطرب جنون العظمة في رأس زعيم يتوقد في نفسه لهيب الشره بأن يكون له سلطان على كل شيء، ثم يستطيع أن يجد بطانة تؤازره، وقوة تناصره، مع كفر بالله يطلق لأهوائه العنان ويجعلها ملك قيادة الشيطان.

ومع هذه المطامع التي ليس لها أساس إنساني كريم تستجيب له النفوس البشرية أو ترضى به، لا بد أن تقف الأمم والشعوب من صاحبها موقف الدفاع عن حقوقها التي يراد لها أن تكون غنائم باردة، وأسلاًباً سهلة المنال، في أيدي مجرمي الحروب، كما لا بد أن تقف في وجهها مطامع مناظرة عند جموحين آخرين يتوقد في نفوسهم أيضاً لهيب الشره إلى السلطان والحكم، ومن هذا أو ذاك يكون الصراع الدموي العنيف، الذي تنشأ عنه مضاعفات كثيرة، إذ يتولد منه الحقد والكراهية والرغبة بالانتقام، وفساد الطبائع الإنسانية، كما يتولد منه التفاخر بالبطولات، وشدة الارتباط بالعنصريات والعصبية والحميات

الجاهلية، وهكذا إلى آخر حشد الرذائل الخلقية والاجتماعية، التي تخلفها الحروب المدنسة بالمطامع الأنانية غير المقدسة.

وقد عرف التاريخ القديم والحديث أمثلة كثيرة من الحروب، التي تشيها من الشهوة إلى الحكم والسلطان بواعث ضاربة ضاربة في نفوس بعض الناس، ممن ليس لهم من الدين ومحافة رب العالمين ما يضبط شراسة نفوسهم، ويملك جماحها العنيد، وليس لديهم مشاعر إنسانية عامة يحسون بها آلام شركائهم في الإنسانية.

وقد ظهرت هذه الأمثلة في مختلف الأمم البدائية والمتحضرة، وكذلك ظهرت في الأمم التي أدركت مدنيات القرن العشرين.

ف نجد أمثلة منها في تاريخ الفرس، وأمثلة أخرى في تاريخ الروم، وأمثلة في تاريخ اليونان، وأمثلة في تاريخ الأحباش، وكانت الأمثلة التي ظهرت قديماً في هذه الأمم أمثلة كبرى ذات نطاق واسع.

وفي تاريخ العرب قبل الإسلام نجد أمثلة كثيرة منها، ولكنها جزئية ومحدودة ونجد مثل ذلك في تاريخ الشعوب البدائية.

وكانت الأمثلة منها قليلة ومحدودة في تاريخ المسلمين بفضل التربية الإسلامية، والروادع الدينية، ولم تظهر هذه الأمثلة إلا من منحرفين خارجين على التعاليم الإسلامية والوصايا الربانية.

أما أعداء الإسلام والمسلمين فقد سجل التاريخ عليهم أمثلة كثيرة منها، وتذهلنا الأمثلة التي قدّمها الشعوب المغولية، والشعوب التترية، وفي الصليبية أمثلة دون ذلك.

فإذا وصلنا إلى تاريخ شعوب أوروبا الحديثة جابهتنا الأمثلة الصارخة التي أعلنت عنها حروب كونية كبرى.

وهذه الأمثلة لا بد أن تتكرر وتظهر في كل مجموعة بشرية لم تعمل فيها يد الإصلاح الديني عملاً فعالاً مثمراً، وشر ما في الأمر أن تحمل هذه المطامع

الشخصية الأنانية شرورها مدمرة بها أجماد الإنسانية الخيرة، التي يحملها دعاة الخير ورسول الهدى.

وقد حمل نفر غير قليل من أصحاب المطامع الشخصية بالحكم والسلطان، في تاريخ الإنسانية الطويل العداوة ضد دعاة الحق من الأنبياء والمرسلين، وضد الإسلام خاتمة الرسالات الربانية، واستخدموا ما استطاعوا أن يجمعوه من قوة وكيد في حرب الأمم والشعوب المؤمنة المسلمة لربها، بغية إضعاف قوتها، وصرفها عن رسالتها الربانية، التي تحمل الخير والرفاه والسعادة لكل الأمم والشعوب.

٢ - الرغبة بابتزاز الأموال والاستيلاء على مصادر الثروات

وقد تكون الرغبة بابتزاز الأموال، والاستيلاء على مصادر الثروات، حباً بالمال، وافتتاناً به، أو بغية تسخيرة في تنمية القوة، أو تحقيق مطالب الأنفس وشهواتها، من أبرز البواعث النفسية التي تدفع مجرمي التسلط المادي المدنس بالمطامع الأنانية والشهوات والغرائز والنزوات والأحقاد، إلى العدوان على غيرهم من الأمم والشعوب.

ومن المعلوم بالتجربة أن النظريات الحقوقية تغدو غير ذات أثر فعال في النفوس، حينما تشعر أن لديها من القوة ما يمكنها من تحقيق مطامعها، متجاوزة كل مبدأ من مبادئ الحق والعدل، وتشعر مع ذلك بانعدام الرقابة عليها من قبل سلطة إنسانية تحاسبها وتجازيها، ثم لا تؤمن برقابة ربانية عليمه حكيمه قديرة عادلة، ستسألها وستحاسبها وستجازيها بالعدل على أعمالها.

ولما كان المال على اختلاف أشكاله وصوره إحدى القوى الخطيرة التي يتوسل بها إلى تحقيق مطالب الأنفس وشهواتها، كان له في نفوس الناس جميعاً مكانة عظيمة موصولة بالدوافع الأولية التي بني عليها وجود الإنسان في هذه الحياة، وموصولة أيضاً بالدوافع الثانوية وغيرها من الدوافع التي تحقق للإنسان متعة ولذة، أو تفاخراً وتكاثراً، أو لهواً ولعباً، أو غير ذلك من زينة الحياة الدنيا.

قال الله تعالى في سورة (آل عمران/ ٣ مصحف/ ٨٩ نزول):

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١١٤﴾ .

وفي كلام الرسول قوله صلوات الله عليه: «لو أوتي ابن آدم وادياً من ذهب لا بتغى إليه ثانياً، ولو أوتي ثانياً لا بتغى إليه ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب».

ولما كان علم الإنسان ضمن قدراته التي يستطيع بذلها لا يحقق له جميع مطامعه في تحصيل المال الوفير، الثراء الكثير، كانت نفسه باستمرار ممتدة للاستيلاء على أموال الآخرين التي جنوها بكدهم وسعيهم، إلا أن يردعهم رادع من دين، أو من خوف رب العالمين.

ولكن الآخرين حريصون أيضاً على ما لديهم من أموال، فلم يكن أمام الناس بين يدي معركة الطمع والدفاع عن الحق إلا طريقان:

طريق الحق والعدل الذي تحمل لواء الدعوة إليه وصيانته شريعة الله الثابتة، ومعها وسيلتا الترغيب والترهيب العاجلتين والآجلتين.

وطريق العدوان والظلم الذي تميل إليه معظم النفوس، ما دامت في أيديها القوة الكافية لانتزاع حقوق الآخرين، والاستحواذ عليها إرضاءً لمطامع النفوس وشهواتها وأهوائها.

أما طريق الحق والعدل فمن العسير أن يلتزم الناس به إلا في حالتين: إحداهما: ضعف قوتهم عن العدوان على غيرهم، وعند ذلك ينادون بمبدأ الحق والعدل صيانة لأنفسهم وحفظاً لحقوقهم. وثانيتهما: سموهم إلى مراتب الإيمان بالله، وشعورهم بأن الله القادر القاهر يراقبهم على أعمالهم، صغيرها وكبيرها، وسيحاسبهم ويجازيهم، ويقيم فيهم عدله بحسب أعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، ولا يضيع عمل عامل منهم، ولو كان مثقال ذرة. وليس وراء هاتين الحالتين إلا تكلفات تعاني منها المجتمعات الإنسانية عناءً كبيراً، ثم تفلت

من أيديها جميع الضوابط حينما يظفر المجرمون بالقوة الكافية.

وأما طريق العدوان والظلم فإنه في نظر كثير من الناس المجرمين، الذين لا يراقبون الله، ولا يرجون ثوابه، ولا يخشون عقابه، أيسر طريق لبلوغ الثروات الكبرى، وحينما تتجلى هذه الانحرافات في أفراد أو في عصابات تتولد جرائم محلية محدودة، يؤدها ويحد منها الرأي العام المتواضع على خلافها، أما حينما تتجلى هذه الانحرافات في نفوس من بأيديهم مصائر شعوب، وقوى دول كبيرة، أو تتجلى في نفوس أمة بأسرها، تجمعها رابطة ما من الروابط الإنسانية، فإن مشكلة العدوان تغدو حينئذٍ مشكلة دولية، أو مشكلة عالمية، إذ تبرز في أشكال غزوات سلب ونهب، أو حروب سلب ونهب كبرى، تزهق فيها أرواح بريئة، وتدمر فيها حضارات، وتتلف فيها خيرات.

وقد عرف تاريخ الإنسان القديم والحديث أمثلة كثيرة من أمثلة الغزوات والحروب الصغرى والكبرى، التي تحركها المطامع المادية والرغبة بابتزاز أموال الآخرين، وسلبها بغير حق، والاستيلاء على مصادر ثرواتهم.

ومن أمثلة ذلك حروب كثيرة توقدت نيرانها بين الناس، في تاريخ الإنسان القديم والحديث، كالحروب التي كانت تحركها المطامع الرومانية والفارسية والحبشية، وكالغزوات التي كانت تمارسها قبائل العرب أيام الجاهلية، وقبائل معظم الشعوب المتخلفة حضارياً، وقراصنة البحار وغيرهم، ومن أمثلة ذلك أيضاً الحروب التي أوقد نارها المغول والتتار، والدول الصليبية، ثم الحروب العنيفة التي أوقدت نيرانها الدول الاستعمارية.

وقد تعرضت بلاد المسلمين وأموالهم لصور كثيرة من الغزو الذي كان الدافع له ابتزاز أموالهم، والاستيلاء على مصادر ثرواتهم.

٣- الرغبة باحتلال أرض ذات امتيازات طبيعية مفضلة

وقد تكون الرغبة باحتلال أرض ذات مناخ أجود أو طبيعة أجمل من أرض الطامعين، أو ذات مركز ذي أهمية تجارية أو عسكرية، من البواعث النفسية الأنانية التي تدفع مجرمي التسلط المادي المدنس بالمطامع والشهوات

والأهواء، إلى العدوان على غيرهم من الأمم والشعوب.

فمن المعلوم أن لكل إقليم خصائص اختصته العناية الربانية بها، فالإقليم الرخي الطري الناعم المثمر قد لا تكون فيه كنوز الذهب والفضة وسائر المعادن الثمينة، والإقليم الذي تكثر فيه الكنوز قد لا يكون رخيّاً طرياً ناعماً مثمراً، وبعض الأقاليم محظوظ بأنه محطة اتصال بين عالمين متباعدين أرضاً، مترابطين في المصالح التجارية أو السياسية أو غيرهما، فيحتل بينهما مركز الوسيط والطريق الذي يضطر إليه كل منهما.

وهذه الخصائص والهبات الربانية من شأنها أن تثير مطامع الطامعين، وحسد الحاسدين، فتجلب إلى أهلها موجات الغزاة، وتجعلهم عرضة لعدوان المعتدين، ومحاولات تسلط الغاصبين، الذين ليس لديهم من الدين أو مخافة عدل رب العالمين ما يردعهم عن الاعتداء على حقوق غيرهم، فيحملون أسلحة التسلط المدنس بالمطامع الأنانية، ويباشرون أعمال الغزو غير المقدس ضد أصحاب الأرض الشرعيين، ولا غرو أن يقف هؤلاء موقف الدفاع الشريف عن أرضهم وبلدهم، وبذلك يقع الصدام الدموي المسلح، وتسفك الدماء، ويكثر الفساد في الأرض. والباعث المؤدي إلى حدوث هذه الويلات الجسام منحصر في المطامع النفسية الدنيئة التي ليس لها سند إلا الأنانية المجرمة، وحب الأثرة، والرغبة بالعدوان.

٤ - الرغبة بتسخير الشعوب

ومن البواعث النفسية التي تحرض مجرمي الحروب على التسلط، الرغبة بتسخير الشعوب في الأعمال الاستثمارية وغيرها، كالأعمال الزراعية أو الصناعية أو العمرانية أو أعمال الخدمات، وأشدها الأعمال الحربية، إذ يجندون الشعوب المغلوبة ويدفعون بها إلى معارك حربية ضد شعوب أخرى.

وهذا لون من ألوان استعباد الإنسان للإنسان بغية تسخيرها في الأعمال، وقد سجل تاريخ الإنسان القديم والحديث أمثلة كثيرة من هذا الاستعباد. لقد كانت الشعوب الغالبة تستعبد الشعوب المغلوبة استعباداً تاماً أو جزئياً،

فتسخرها فيما تشاء من أعمال، ثم جاء الاستعمار بصوره المختلفة فكان لوناً متمدناً من ألوان الاستعباد.

وإذا كان التاريخ القديم يحدثنا عن الشعوب المغلوبة المستعبدة التي بنت بكدها وذلها ودمها وآلامها للغالين آثاراً خالدة، ظلت ماثلة آلاف السنين تشهد بمقدار التسلط الذي بلغوه، فإننا قد شهدنا في التاريخ الحديث جيوشاً جرارة من إفريقية والهند مستعبدة مسخرة لتوطيد دعائم دول استعمارية، تسلطت على شعوبها، وبنت أعجافها بكد وذل هذه الشعوب، وبطاقات أفرادها، وبخيرات أرضها.

وقدم إنسان المدنية الحديثة أمثلة من الاستعباد منازرة لما كان يقدمه إنسان القرون الأولى دون فروق جوهرية كبيرة، إلا الفروق التي تقتضيها وسائل العصر، فكل منها قائم على استغلال الإنسان وإذلاله لأخيه الإنسان دون حق مشروع، أو هدف مثالي، ولدى البحث نجد أنه لا دافع لهذا العدوان إلا الأنانية الشخصية أو الجماعية، والمطامع النفسية الظلمة، والنزوات القائمة في نفوس أفراد متسلطين، أو شعوب أخذتها العزة بالإثم، فتمت فيها أنانيات ومطامع ونزوات مشتركة، فتواطأت على إروائها باضطهاد شعوب أخرى وإذلالها واستعبادها.

بينما لا نجد في رسالة الجهاد المقدس أي أثر لإقرار صور الإذلال والاستغلال والاستعباد، أما نظام الرقيق فقد كان لوناً من ألوان المعاملة بالمثل، إذ كان نظاماً سائداً في مختلف أمم الأرض، وحينما جاء الإسلام أخذ في إصلاح هذا النظام داخل المجتمعات الإسلامية، إذ لم يكن يستطيع أن يملئ إرادته على الشعوب التي كانت تعلن عداؤها للإسلام والمسلمين، أما إصلاحه تمهيداً للتخلص منه فقد كان بالحرص على تحرير الرقيق، وإيجاب الرفق في معاملته، واعتباره بمثابة عضو من أعضاء الأسرة الإسلامية، التي وكل إليها أمر الرقابة عليه خشية مؤامراته، فهو يأكل مما تأكل منه، ويلبس مما تلبس منه، ولا يكلف من العمل إلا في حدود طاقته، حتى إذا ظهرت عليه أمارات صلاح حاله، واطمأنت النفوس إليه أطلقت حريته، ورغعت الرقابة عنه، وأعطى بذلك

مباشرة جنسية المواطن الشريف، وأخذ يتمتع بكل الخيرات التي يتمتع بها جميع المسلمين، من خيارات اقتصادية وأدبية واجتماعية وغيرها، أما المجالات العلمية فإنه لا يحوم منها بحال من الأحوال، حتى في أشد أحوال الأسر، لأن رسالة الإسلام في أساسها رسالة تعليم وهداية.

وهكذا يظهر الفرق دائماً بين البواعث النفسية الأنانية غير المقدسة، وبين أهداف رسالة الجهاد المقدس. ولعل هذا النظام الذي يقوم على أساس جعل الأسير عضواً من أعضاء أسرة إسلامية داخل المجتمع المسلم يخالط شؤون الحياة كلها، إلا أنه موضوع تحت الرقابة، أكرم لإنسانية الأسير وأرحم، وأفضل لترقيته ثقافياً واجتماعياً، من الأنظمة المتبعة الآن بالنسبة إلى الأسرى، فهي أنظمة شبيهة بالاستعباد الجماعي، إذ فيها إذلال جماعي، وحجز لكل الحريات في السجون، وتسخير في بعض الأعمال، وتقتير في وسائل العيش، مع تعذيب وإهانة.

٥ - الرغبة بالتوسع في الأرض للاستيطان أو الاستغلال

ومن البواعث النفسية التي تدفع مجرمي التسلط المادي المدنس بالشهوات والمطامع الأنانية، إلى العدوان على غيرهم من الأمم والشعوب، الرغبة بالتوسع في الأرض، بغية الاستيطان فيها أو استغلالها.

وحين لا تتحقق هذه الرغبة لهم برضا أصحاب الأرض الشرعيين فإنهم لا يجدون سبيلاً إلى ذلك إلا سلوك سبيل الجريمة والظلم والعدوان، إما بمزاحمة أصحابها، ومقاسمتهم أرضهم ومعيشتهم ومصادر رزقهم، وإما بسلبها منهم سلباً كلياً، وطردهم والعمل على إبادةهم وإفنائهم بشتى وسائل الإفناء الوحشي أو المتمدن.

وما نشاهده من ذلك في الناس على مستوى الأفراد أو العصابات، نشاهد نظيره على مستوى الأمم والشعوب والدول الكبرى.

ففي الأمثلة المصغرة نشاهد جرائم التوسع في الأرض بالظلم والعدوان، عن طريق السرقة أو الاحتلال، أو عن طريق استخدام القوة المباشرة أو غير

المباشرة، كتسخير قوة الحكم، والضرب بسيف السلطان، أو عن طرق أخرى، والوسائل الشيطانية في ذلك كثيرة.

هذا جار سكن يحركه الطمع للاستيلاء على قطعة أرض من دار جاره ظلماً وعدواناً، ليوسع بها داره، ويزيدها حسناً وجمالاً، ويجازف بارتكاب جريمة الاستيلاء بغير حق على ملك جاره، وربما تكون حاجة جاره لها وهو صاحب الحق تمثل ضرورة من ضرورات سكنه وسكن أسرته، بينما لا تزيد حاجة المتسلط على أنها لون من ألوان استكمال مظاهر الرفاهية والزينة له ولأسرته.

وهذا جار في أرض زراعية يحركه الطمع أيضاً للاستيلاء على قطعة أرض من مزرعة جاره، ليوسع بها مزرعته، ويحبل بها أرضه، فيجازف بارتكاب جريمة الاعتداء على حق غيره، وربما كانت حاجة جاره لهذه القطعة - وهو صاحب الحق - تمثل ضرورة أساسية من ضرورات عيشه لأنها الوسيلة الوحيدة لعمله الذي يجني منه رزقه ورزق أسرته.

وهنا تقف تعاليم الإسلام حارساً أميناً على حقوق الناس، ففي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم عن سعيد بن زيد، أن سول الله ﷺ قال: «من أجد شبراً من أرض ظلماً فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين».

وفي الأمثلة المكبرة التي يرتكبها مجرمو التسلط من الأمم والشعوب، نشاهد جرائم التوسع في الأرض، بطرق شتى، منها ألوان الغزو المادي المسلح، الذي يمتلك الغزاة فيه بلاداً لشعوب وأمم أخرى بمقاتلة أهلها وقهرهم، وطردهم أو إبادةهم

ومن أمثلة ذلك في القرن العشرين للميلاد مطالب ألمانيا هتلرية، التي نشأ عنها ما سمي بالحرب الكونية الثانية. ومن أفحش الأمثلة وأكثرها تصويراً للجريمة الإنسانية ما يمارسه اليهود في فلسطين ضد سكان الأرض الأصليين، وأصحاب الحق الشرعي فيها، وليس التذرع بأن اليهود قد سبقت لهم سكنى في هذه الأرض منذ نيف وألفي سنة، لذلك فلهم الحق بأن يستردوها ويطردوا أهلها منها أو يعملوا على إفنائهم، إلا كحجة الضيف الذي استقبله صاحب

الدار بالترحاب والإكرام، ثم زاد في إكرامه فأطال مدة إقامته، إلا أن أولاد هذا الضيف استطاعوا في يوم ما أن يستغلوا مرض صاحب الدار، ويعلنوا أمام الجيران أنهم هم أصحاب الدار ومالكوها، ثم شفى الله المريض وشهد ما وصل إليه أولاد ضيفه من فساد ولؤم وعدوان، فاستعان عليهم بذوي القوة فطردهم من بيته، فتفرق هؤلاء الأولاد في الأرض، ولكنهم مازالوا يحنون إلى دار الضيافة، وبعد عشرات القرون من السنين، رجع الأحفاد يطالبون بدار الضيافة، ويزعمون أمام الناس أنهم أصحابها، وأنهم كانوا قد طردوا منها، وما على الناس إلا أن يملكوهم إياها، ويطردوا منها أبناء الذين كانوا قد استضافوهم في دارهم.

هذا هو منطق اليهود في هذا العصر، ومنطق الدول الكبرى التي تؤيدهم وتمدهم؛ وما يدرينا فلعل اليهود سيطالبون بتملك جميع بلاد الدنيا، لأنهم سكنوها ضيوفاً فترات طويلة من الزمن.

أما وجود اليهود في فلسطين فإن الحقيقة التاريخية التي يعترفون بها تثبت أنه قد كان بمثابة وجود الضيف في المثل السابق، إبراهيم عليه السلام قد كان من سكان ما بين النهرين، فجاء مهاجراً إلى أرض الكنعانيين، وقد استضافه الكنعانيون وأحسنوا وفادته، وكان له أسرة قليلة العدد ضمن سكان كثيرين، ولم تلبث هذه الأسرة أن هاجرت إلى مصر، ثم عادت بعد قرون ومعها رسالة الجهاد المقدس، إلا أن الفساد قد أسرع إليها، فسلب الله عنها النعمة، واستمر أصحاب البلاد الأصليين في أرضهم، ولما جاءت المسيحية دخل قسم منهم فيها، ثم لما جاء الإسلام أسرعوا إليه فصاروا مسلمين.

فهل لهذه الدعوى التي يصنعها اليهود، ويؤيدهم فيها أمثالهم في الإثم والجرم، أقدام تقف عليها في مواجهة منطق الحق الذي يملكه الفلسطينيون؟

٦ - الرغبة بالانتقام تنفيساً عن الكراهية والأحقاد الموروثة

ومن البواعث النفسية الأنانية التي تدفع مجرمي التسلط المادي المدنس بالأهواء والشهوات، والأحقاد والنزوات، إلى العدوان على غيرهم من الأمم

والشعوب، الرغبة بالانتقام تنفيساً عن كراهية موروثية وأحقاد قديمة.

وحينما يكون الانتقام الجاهلي موجهاً ضد مجموعة من الناس، يتوجه أيضاً ضد كل ما يختص بهم من دين، أو نظام اجتماعي، أو تاريخ، أو أرض، أو أي مجد حضاري أو مدني، مهما كانت هذه الأمور جدية بالاحترام والتقدير، أو حقيقة بأن تتبع أو يستفاد منها للتقدم وإسعاد الناس ورفاههم ونشر الخير بينهم.

ويظل الإنسان في انفعالاته الانتقامية المستندة إلى الكراهية الموروثة جاهلياً، بعيداً عن المنطق الحضاري، ما لم تهذب عواطفه وتضبط نفسه وانفعالاته مجموعة العقائد والمفاهيم والنظم الدينية الربانية الحقة، القائمة على أسس عامة بعيدة عن كل تعصب أناني أو قومي أو عرقي.

ويظهر أثر التكوين البدائي لطبائع النفوس في كثير من شعوب الأرض المتعدنة، ما دامت بعيدة عن التربية الدينية الربانية الصحيحة، أو المفاهيم الاجتماعية التي تدعو إليها، وكلما قربت هذه الشعوب في حضاراتها من إدراك هذه المفاهيم، وتمثلها في السلوك، تضاءلت في نفوسها الطبائع الجاهلية.

ومن خصائص التربية الدينية الربانية الصحيحة، التي تمثلها التعاليم الإسلامية أصدق تمثيل، الأسس الاجتماعية التالية:

الأساس الأول: «لا تزر وازرة وزر أخرى» فلا تتحمل الجماعة ذنوب أفراد منها، ما لم تكن متواطئة معهم عليها، أو راضية بها، ولا يتحمل الأبناء والأحفاد ذنوب الآباء والأجداد، ما لم يتابعوا ممارستها، أو تصبح فيهم أموراً تقليدية محبة غير مستنكرة.

وهذه الأسس من شأنه أن يقطع دابر كل كراهية متوارثة بين الأمم والشعوب.

الأساس الثاني: الأخوة الإنسانية التي لا تعترف بالفوارق العرقية أو اللونية أو اللغوية أو السكنية أو الطبقية، وهذه الأخوة ذات مستويين:

أما المستوى الأول: فهو المستوى العام الذي يشمل الناس جميعاً، ويتمثل بحب المسلم الخير والسعادة لكل بني الإنسان، وفي هذا المستوى يقول

الرسول ﷺ: «كلكم لآدم وآدم من تراب».

ويقول الله تعالى في سورة (الحجرات/ ٤٩ مصحف/ ١٠٦ نزول):

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١٣).

وأما المستوى الثاني: فهو المستوى الخاص، ويتمثل بحب الخير والسعادة مع التأييد والمناصرة والمودة للملتزمين بالحق، الداعين إليه، السالكين صراط الخير والهدى، صراط الله المستقيم.

وذلك لأنه قد اقتضت طبيعة نشر الحق والخير في المجتمع الإنساني، وطبيعة العمل على مقاومة الباطل والشر أين وجد ومن أية جهة صدر، مناصرة دعاة الحق والخير الملتزمين بهما، وكبح جماح دعاة الباطل والشر العاملين بهما.

ولما كانت المناصرة أثراً من آثار الإرادة الإنسانية، التي تتأثر بالميل العاطفي، كان من مقتضى المناصرة أن تكون مصحوبة بالحب في الله، وكان من مقتضى المكافحة أن تكون مصحوبة بالبغض في الله.

وقانون الحب والبغض في هذا الأساس مستند إلى مبدئين، يضم أحدهما الحق والخير، ويضم الثاني الباطل والشر، وضابط المبدأ الأول منها ما أمر الله به عباده ودعاهم إلى العمل به واتباعه، وضابط المبدأ الثاني منها ما نهى الله عنه عباده ودعاهم إلى تركه واجتناب سبيله. وقد بين الدين الإسلامي للناس أوامر الله ونواهيه.

من أجل ذلك كانت ثمرة هذا القانون تتجلى في الحب في الله والبغض في الله، دون أن تتدخل في كل من الحب والبغض أية عوامل شخصية أو أهواء نفسية.

ومن شأن هذا الأساس أن يطلق دوائر الجماعات الإنسانية، ويأخذ بأيدي الناس إلى الوحدة العالمية، التي تعتمد على وحدة الفكر ووحدة الهدف في الحياة ويرافقها وحدات أخرى ذات ارتباط بالنظم العامة، والتكوين السياسي للجماعات الإنسانية.

الأساس الثالث: إلغاء الأنانيات على اختلافها أمام مبادئ الإصلاح والخير، ومكتشفات العلم ومنجزاته.

ويقتضي هذا الأساس، أن يتقبل الذين تأثروا بالتربية الإسلامية المثلى كل مبادئ الإصلاح والخير، وأن يمتصوا بسرعة كل مكتشفات العلم ومنجزاته، ولو حملها إليهم أقل الناس مكانة اجتماعية بين الأمم، وقاعدتهم في هذا ما جاء في الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الكلمة الحكيمة ضالة الحكيمة، فحيث وجدها فهو أحق بها»^(١).

وكلمتهم الماثورة في ذلك: «خذ الحكيمة من أي وعاء خرجت».

ومع تمثل هذه الأسس الراقية تنعدم معظم عوامل الكراهية والبغضاء والحقد، التي لها في معظم الأمم والشعوب رواسب موروثية، مع أنها غير ذات أساس منطقي مقبول، لدى التقويم الفكري السليم.

وكم تعرضت الإنسانية لآلام كثيرة، وحروب بشعة حقيرة، وألوان شتى من العدوان والظلم التي لا دافع لها إلا مخزونات كره وحقد تغلغلت في النفوس، وتكاثرت عن طريق التوالد الذاتي البحث، وورثها الأبناء والأحفاد عن الآباء والأجداد، وحينما نرجع إلى أصولها الأولى نجد أنها ناتجة عن رعونة وطيش، وأنانية وأثرة، أملت لها عادات وتقاليدها جاهلية، تحمل الجماعة وزر مذنب منها، ولا تفهم معنى الأخوة الإنسانية ولا تشعر به، ولا تعترف بأي إصلاح أو خير أو علم، ما لم يكن صادراً عنها أو منسوباً إليها.

وقد صادفت حركة الإصلاح ونشر الخير والعلم على أيدي المسلمين موجة عنيفة مضادة من الكره والحقد والبغضاء عند بعض الذين رفضوا الإسلام، وقد اختزن طاقة هذه الموجة فئات من الناس، فورثوها لأولادهم وأحفادهم. أما الذين استجابوا لدعوة هذه الحركة فقد اندمجوا بسرعة في صفوف المؤمنين المصلحين، فقبلوا الإسلام، ورضوا به ديناً ونظام حياة، فسعدوا به، ولم يجدوا في نفوسهم أي حرج، وهؤلاء هم النسبة الغالبة من

(١) رواه الترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي: هذا حديث غريب «مشكاة» ٢١٦.

الشعوب التي دخلت إليها حركة الإصلاح. وأما الذين لم يستجيبوا فلم يقترب المسلمون تجاههم ذنباً تستحق أن يقابلوا عليها بالكره والحقد والبغضاء، لكن الجاهليات الأنانية جعلتهم لا يعترفون بالأخوة الإنسانية، ولا يتقبلون مبادئ الإصلاح والخير التي جاءهم بها دعاة من غيرهم، فكرهوا وأبغضوا وحقدوا، وورثوا ذلك لأبنائهم وأحفادهم، واتبعوا المفاهيم الجاهلية، التي لا تتجاوز حدود الدوائر الأنانية الضيقة والعصبية المقيتة.

وكم تعرض المسلمون في قرون الضعف والتجزئة لعداء شديد، وكيد مديد، من واثري كراهية وحقد وبغضاء.

٧ - الرغبة بإرضاء نوازع الحسد

ومن البواعث النفسية الأنانية التي تدفع مجرمي تسلط المادي المدنس بالانحرافات الخلقية، إلى العدوان على غيرهم من الأمم والشعوب، داء الحسد الذي يأكل قلوب طائفة من الناس.

ومعلوم أن هذا الداء القبيح، متى استحكم في قلوب الحاسدين، لا تتحقق رغباته إلا بإزالة كل أسباب النعمة التي يتمتع بها المحسودون.

ثم لا يقف داء الحسد عند حدود الأمان، ولكنه ينتقل إلى مباشرة الأسباب المادية لتحقيق رغباته الحقيرة، وذلك عند شعور الحاسد بأن لديه من القوة المادية ما يستطيع أن يزيح به من الوجود مشيرات حسده، مهما كان نوعها، إما بسلب أسباب النعمة من صاحبها وإضافتها إلى نعمه، وإما بحجبها عنه، وإما بإتلافها وإزالتها من الوجود.

إلا أن المؤمنين بالله حق الإيمان، الراضين بقسمته وعدله، إذا مسهم طائف من شياطين الحسد تفجرت في قلوبهم ينابيع ذكر الله، وامتدت أمام بصائرهم آفاق المعرفة، وتدفقت عليهم فيوض العلم، فأدركوا سر الابتلاء في هذه الحياة الدنيا، وأبصروا حكمة الله، فاطمأنت بها قلوبهم، وعظمت بها قناعتهم، ثم جاءهم من الله شفاء لما في الصدور.

ويمكن أن نضع لهذا الداء وآثاره قانوناً نفسياً يستند إلى عناصر ثلاثة:

العنصر الأول: وجود هذا الداء في النفس بالمقدار الذي يؤثر تأثيراً ما في سلوك الإنسان وانفعالاته.

العنصر الثاني: فقد الشعور بمراقبة الله، والتبصر بحكمته، والخوف من نقمته.

العنصر الثالث: شعور الحاسد بأن لديه من القوة ما يمكنه من سلب أسباب النعمة عمن يحسده، أو حجبتها عنه، أو إتلافها إتلافاً كلياً.

فإذا اجتمع العنصران الأول والثاني ولم يتوافر للحاسد العنصر الثالث - وهو شعوره بالقوة على تحقيق رغبات داء الحسد - تولدت عنها أمانى سلب النعمة أو حجبتها أو إتلافها.

وإذا اجتمعت العناصر الثلاثة تولد عنها جميعاً كل المحاولات العملية الإجرامية التي تستهدف مباشرة تحقيق الأمانى.

وتتفاوت النتائج بنسبة تفاوت وجود هذه العناصر، فإذا كانت نسبة داء الحسد مثلاً بمعدل (٧٠) درجة مئوية من النسبة العظمى التي بلغها إبليس في حسده لأدم، وتضائل معها الشعور بمراقبة الله والخوف من جزائه ونقمته، حتى بلغ دون العشرة في المئة. وبلغ معها الشعور بالقوة على تحقيق الأمانى دون التعرض لعقاب مادي بمعدل (٧٠) درجة مئوية مثلاً، فإن قوة فاعلية الأمانى ستكون قوة كبرى، والاندفاع إلى الجريمة سيكون أمراً محققاً في تقدير مدى سلوك الإنسان سبل الشر والأذى.

أما إذا كانت النسب ضئيلة، أو كانت نسبة الشعور بمراقبة الله والتبصر بحكمته والخوف من نقمته عالية، فإن آثار الحسد في السلوك ستكون آثاراً ضئيلة خفيفة.

ومن هذا نلاحظ أن وجود عنصر داء الحسد مع الشعور بالقوة على تحقيق أمانى الحاسد يلغيها أو يكبحها الشعور بمراقبة الله، والتبصر بحكمته، والخوف من نقمته، بل من شأن هذا الدواء المدهش أن يطارد جرثومة الداء من أساسها.

ولدى النظر في تاريخ الإنسان القديم والحديث نلاحظ كم كان لهذا الداء الخبيث من آثار إنسانية مخزية، وأعمال في الكون مفسدة مدمرة، وكم دفع مجرمي التسلط المادي إلى إشعال نيران حروب كثيرة وكبيرة، نجم عنها آلام جسيمة، وأمراض اجتماعية وجسدية ونفسية خطيرة، ونجم عنها أيضاً دماراً لمظاهر تقدم الإنسان وحضارته، وفساد عريض وشر مستطير.

ولما اصطفى الله محمداً ﷺ بالنبوة، وأنزل عليه القرآن، واختصه بأن يكون خاتم المرسلين، وحمل من آمن به من العرب لواء الدعوة إلى رسالته العظيمة، خاتمة رسالات السماء، وأقبلت عليهم رياح النصر والتأييد من كل جهة، أثار ذلك حسد بعض أتباع الديانات السابقة، وأوقد في قلوبهم نيرانه، فكان منهم معتدلون لم يتجاوزوا حدود الأمان، وكان منهم مجرمون أخذوا يهتبلون كل فرصة للنكاية بالمسلمين، وقطع كل طريق من طرق الدعوة دونهم، وللنكاية بالإسلام الذي كان سر مجدهم ونصرهم وخذلان عدوهم.

واحتل اليهود الصف الأول بين طوائف الحاسدين، فأخذوا ينكرون الحق الذي جاء به محمد صلوات الله عليه، ويتآمرون عليه وعلى رسالته في حياته، ثم أخذوا يكيدون للمسلمين وللإسلام كيداً عظيماً، على مقدار القوة التي يشعرون بأنها تمكنهم من فعل شيء يسير في طريق تحقيق أمانهم العدوانية الظالمة الآثمة، إلى أن مرّ نهر الزمن في صحراء القرن العشرين، وبدأت على الشعوب الإسلامية مظاهر الضعف، تسارع اليهود من كل حذب وصوب إلى إرضاء نوازع الحسد الذي يأكل قلوبهم منذ قرون، وإلى تلبية مطامع أخرى في نفوسهم، وإلى سلب المسلمين جوهرة عظيمة عزيزة عليهم دينياً وتاريخياً، وانتزاع الرئتين من الجسد، بوسائل إجرامية، وآزرهم على ذلك آخرون في الأرض، أكثر منهم قوة على تحقيق أمانهم، وأقل منهم حسداً، ولكن اشتركوا جميعاً في جريمة التسلط على ما ليس لهم به حق، بالغصب، والقتل، والسلب، والتشريد، ومحاولات الإفناء، مع محاربة الدين الذي كان سبب نعمة المسلمين العظمى، منذ ظهور الإسلام في القرن الأول الهجري، الموافق للقرن السابع من ميلاد المسيح عليه الصلاة والسلام.

٨- خوف صاحب السلطان على سلطانه من عناصر قوته البشرية

ومن البواعث النفسية الأنانية غير المقدسة، التي تدفع مجرمي التسلط المادي إلى العدوان على غيرهم من الأمم والشعوب، خوفُ صاحب السلطان على سلطانه من القوة العسكرية والسياسية التي يتمتع بها قواده وضباطه وجنوده، فيحاول أن يتخلص منهم بتوجيه طاقاتهم القتالية لقتال شعوب غير خاضعة لسلطانه.

ويبدو أن هذا الباعث يلزم معظم ذوي السلطان، الذين لا يرون فيه معنى المسؤولية الكبرى الملقاة على عاتقهم، والتي ينوء بحملها أفاذا الرجال على مدى تاريخ الإنسان، وإنما يرون فيه مغنم وأجداً لهم ولمن يتصل بهم فقط، وربما يلزم طائفة من المخلصين الذين يدركون عظم مسؤوليته، إذا كانوا في مجتمع كثير الشر، يحتاج تقويمه إلى حشد كبير من القوى والخطط الذكية، واليقظة التامة، أما إذا كانوا في مجتمع قليل الشر، يقدر في ذوي السلطان العدل والاستقامة، ويشكر لهم قيامهم بالمسؤولية الكبرى، فإنهم قلما يلمس قلوبهم الخوف على أنفسهم أو سلطانهم. ومن الأمثلة التاريخية لهذا القسم الخليفان أو بكر الصديق وعمر بن الخطاب، إذ كانا في المجتمع الإسلامي في عهديهما مثل سائر الناس في طمأنينة قلوبهما، وذلك لتوافر شرطين أساسيين:

أحدهما: فيمن بيده السلطان، وهو العدل والاستقامة، والشعور بالمسؤولية، والزهد القلبي بكل مظاهر الحكم.

وثانيهما: في المجتمع، وهو كثرة ذوي الاستقامة فيه، الذين يرون السلطان على صورة يزهدها الحريصون على دينهم، الخائفون من ربهم، ما لم يلجئهم الواجب إلى الاضطلاع به، وهم يجدون من يضطلع به منهم من الأكفاء الأفذاذ، ذوي العدل والاستقامة.

على أنه رغم وجود هذا الباعث في نفس صاحب السلطان، فإنه لا يتخذ خطة لتثبيت حكمه بالعدوان والظلم والفساد في الأرض، متى كان لديه نصيب كافٍ من الإيمان بالله، وحسن مراقبته، والخوف من عقابه.

أما الذين قست قلوبهم، وتعاضمت نفوسهم، وسيطر عليهم الغرور،

وحرّموا من نعمة الطمأنينة التي هي ثمرة من ثمرات الإيمان بالله، وأثر من آثار مراقبته وخشيته، فأولئك هم الذين تعمل أفكارهم في ابتكار الحيل، وتخطيط الخطط الشيطانية، لتثبيت دعائم ما في أيديهم من سلطان، لأنهم لا يملكون من صفات الحاكم العادل المالك لقلوب رعيته رصيذاً يدعم سلطانهم ضد بعض الطامعين، الذي يمثلون قوتهم في دعم سلطانهم، تجاه نقمة رعيته عليهم.

وحيثما يشعر هؤلاء بأن قوتهم التي تثبت حكمهم ضد الرغبة الحقيقية لرعيته، وقد أصبحت مريض خطر على سلطانهم، لوجود عناصر فيها أخذت تشعر بمقدرتها على انتزاع الحكم، والاستئثار به لأنفسها، عن طريق القوة العسكرية أو السياسية التي في أيديها، فإن موجة من القلق والاضطراب تستولي عليهم، وعندئذ يقلبون وجوه الرأي للتخلص من هذه الأزمة المثيرة للقلق والاضطراب، إذ تتنازعهم فيها عوامل نفسية مختلفة، أهمها العوامل التالية:

العامل الأول: الحرص الشديد على ما في أيديهم من سلطان، لأنهم يرون فيه مغانم كثيرة لأنفسهم ولذويهم، ولا يشعرون فيه بالمسؤولية العظمى الملقاة على عاتقهم، لأنهم فقدوا معاني الإيمان بالله، ومراقبته، والخوف من نقمته.

العامل الثاني: الطمع بالاستزادة من مغانم الحكم.

العامل الثالث: الخوف الشديد من القوى الطامعة بانتزاع ما في أيديهم من سلطان.

وحيثما يقلبون وجوه الرأي للتخلص من الأزمة النفسية التي أثارت قلقهم واضطرابهم، يعثرون على حيل شيطانية، وخطط إجرامية مختلفة، منها ما يلي:

أ - حيلة إيقاع الخلاف بين عناصر القوة السياسية أو العسكرية التي يخشاها أصحاب السلطان، لأنهم يتصورون أنه متى وقع الخلاف بينها مع تعادل قوتها تفرقت كلمتها، وتكونت فيها زعامات متناقضة، ومع تناقضها تجد أطراف النزاع فيها بقاء صاحب السلطان هو الحل الذي يحميها من الصدام المتكافئ.

ب - خطة التخلص من عناصر القوة التي يخشونها، ولو بوسيلة جريمة من جرائم القتل المباشر أو غير المباشر، وهذه الخطة الإجرامية قد لا تظفرهم بما يريدون، وربما كانت سبباً في إضعاف قوتهم أمام أعدائهم أو أعداء شعوبهم وبلادهم.

ج - خطة التخلص منهم بإبعادهم عن مركز السلطان إبعاداً مادياً أو معنوياً.

د - خطة شغلهم بإثارة فتن، وإقامة حروب آتمة ظالمة، وإطلاق أيديهم في البلاد التي يغزونها، إرضاءً لغرورهم ومطامعهم، وإبعاداً لهم عن جو الاستقرار الذي قد يفكرون فيه بانتزاع السلطان، وإذا كانت هذه الفكرة دائرة في رؤوسهم فإن هذا الإبعاد يساعد على تأجيل التفكير بمحاولات تنفيذها، وهنا تقع ظروف جرائم العدوان على الشعوب الآمنة، التي لا جرم لها، كما أنه ليس للذين يريدون غزوها هدف مثالي كريم؛ وإنما أراد حكام هؤلاء الغزاة التخلص من القوى التي تحت أيديهم؛ والتي يخشون منها على سلطانهم.

وكم تعرضت شعوب كثيرة في التاريخ القديم والحديث إلى غزو مجرمين من هذا النوع، ونالتهم منهم مصائب وآلام كثيرة، دون هدف مثالي كريم. وكم قوضت بهم حضارات، وظلمت بهم مبادئ إنسانية عظيمة، وهدمت بهم أركان ديانات سماوية صحيحة، فيها الخير والسعادة للناس، واضطهد معتنقوها اضطهاداً شنيعاً.

٩ - بواعث متفرقة أخرى

ومن البواعث النفسية الجاهلية التي تدفع مجرمي التسلط المادي غير المقدس، إلى العدوان على غيرهم من الأمم والشعوب، مجموعة رعونات فكرية ونفسية طائشة، تدل على مبلغ السذاجة الفكرية والنفسية، والبداية الاجتماعية المتخلفة تخلفاً حضارياً شائناً، مهما كانت تتمتع بالمظاهر المدنية الفخمة، لأن المظاهر المدنية ليست هي التي تصنع الحضارات الراقية، وإنما تصنعها المبادئ الفكرية السليمة، والتعاليم الخلقية العظيمة.

وقد سجل تاريخ الانسان طائفة من الحروب بين القبائل والشعوب والأمم أدت إلى تسلط بعضها على بعض، واستعباد بعضها لبعض عدواناً وظلماً، دون أن يكون الباعث لها غير رعونات وحقاقت غضبية جاهلية، ناشئة عن انفعالات نفسية ساذجة، أثارتها أسباب جزئية تافهة، لا تحرك الألوف منها شعباً راقياً متحضراً أثرت فيه التربية الدينية الإلهية بمثلها تربية مباشرة. كالأمم المتمسكة برسالاتها الربانية، أو تربية غير مباشرة، كالأمم التي احتكت باتباع الرسائل الربانية، فأخذت عنها فضائل أخلاقية، عن طريق السراية والعدوى الطيبة، والاقتناع بالمفاهيم التي دعوا إليها.

ومن أمثلة الحروب الانفعالية الطائشة أيام العرب في الجاهلية، وهي أيام حروبهم التي كانت معظم أسبابها أموراً تافهة جداً، وقد ذكر المؤرخون أنها بلغت نحواً من (١٧٠٠) يوم، ورغم أن هذه الحروب لم يكن من نتائجها التسلط المادي السياسي العام، فذلك لأن حياة العرب المائجة في الصحراء لا تسمح بذلك، أما التسلط الذي كان يسمح به شكل حياتهم فقد كان يحصل، كالاستيلاء على الأموال، وكاسترقاق العبيد والإماء عن طريق السلب والنهب والعدوان والظلم.

ومفاهيم الحضارة الراقية التي جاء بها الإسلام، جعلتنا اليوم نعجب كثيراً لسبب الحروب التي استمرت في الجاهلية بين قبيلتين من قبائل العرب، هما عبس وذبيان، مدة أربعين سنة. وهي الحروب المشتهرة باسم حروب داحس والغبراء، إذ كان سببها على ما يذكر الإخباريون، أن «قيس بن زهير» زعيم قبيلة عبس، و«حمل بن بدر» زعيم قبيلة ذبيان، تراهنا على أن يتسابقا على فرسيهما المسميين: «داحس» و«الغبراء» فاحتال زعيم قبيلة ذبيان بحيلة تساعد فرسه على السبق، فثار قيس زعيم قبيلة عبس، وتفاقم الأمر، وحميت العصبيات في النفوس، واهتاج الغضب في كل من القبيلتين، فقامت الحرب بينهما، وتكررت أيامها خلال أربعين سنة.

وهذه الحروب الأثمة الظالمة لم تعد أسبابها الأولى أنها نزوة من نزوات الغضب، ثارت ضمن حادثة تسابق بين زعيمين، وهي من الأسباب التي لا تستحق الذكر لتفاهتها.

وربما ثارت حروب طاحنة بين قبيلتين أو بين شعبين، انتصاراً لكرامة رجل أو امرأة، تعرّض أحدهما للإهانة من قبل شخصٍ من غير قبيلته أو غير شعبه. وربما ثارت حروبٌ ثاراً لمقتل إنسان، فذهب ضحيتها ألوف القتلى، وسقط فيها ألوف الجرحى. وربما قامت حروب دفع إليها التفاخر بين الأنداد بالشجاعة والقوة وكثرة الأنصار، أو طلب مجد وهمي لا تسنده حقيقة فكرية تقبلها العقول السليمة. وربما قامت حروب دفع إليها شتيمة ظهرت على لسان أحق طائش. إلى غير ذلك من أسباب تافهة مناظرة لهذه التوافه.

بينما نجد الإسلام ينظر إلى أهم هذه الأسباب وهو القتل بأمثل نظرات الحكمة والعدل، فيقرر مبدأ القصاص من القاتل عمداً وعدواناً، فرداً كان أو جماعة، إلا أن يعفو أولياء القتيل رضاً بالدية، كما ينهى بحزم بالغ عن الإسراف في القتل، وقد ألغى الإسلام بذلك تقاليد الحماقات والرعونات الجاهلية، التي كانت تقتل برجل من قبيلتها أي رجل من القبيلة الأخرى، وقد تأخذ على نفسها أن تقتل بقتيلها عشرات من قبيلة القاتل، وهنا تضرب الحمية في رؤوس الآخرين، فيقابلون بالمثل، ويسرف كل منهما في القتل.

أما الإسلام فإنه يقرر ما يلي:

أولاً: ما تضمنه قول الله تعالى في سورة (البقرة/ ٢ مصحف/ ٨٧ نزول):

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَأْتُوا آلَ الْكَافِرِينَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٧٩).

وبذلك حدد الإسلام مبدأ القصاص، حرصاً على حياة الناس، ونبه إلى أن الالتزام بهذا الحكم الرباني من شأنه أن يحافظ على حياة الأفراد والجماعات، لأن من يريد أن يقتل عمداً وعدواناً متى علم أنه سيقتل قصاصاً ارتدع عن القتل، وأدرك أنه يقدم على عملية انتحار، وليس كلّ مجرمي القتل يحلو لهم أن ينتحروا، أما حينما يخطر على بالهم أنهم سيعاقبون بالسجن فقط، أو سيقتل غيرهم من أفراد قبيلتهم مكانهم فإن الرادع لهم عن القتل لا بد أن يضعف في نفوسهم.

ثانياً: ما تضمنه قول الله تعالى في سورة (الإسراء/ ١٧ مصحف/ ٥٠

نزول):

﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾ (٣٣).

وهذا يجد من دوافع الغضب التي تثور في نفوس أولياء المقتول، ويثبت لهم أنهم منصورون بحكم الله، إذ جعل لهم سلطاناً أن يطالبوا الدولة الإسلامية بالقصاص من القاتل مهما كان شأنه، ثم يردعهم عن أن يسرفوا في القتل، وذلك بأن لا يتجاوزوا حدود الله، فيقتلوا غير القاتل، أو يقتلوا معه أحداً من عشيرته، رغبة بالانتقام الشديد على عادات الجاهلية، لأن هذا من شأنه أن يثير الحميات والعصبيات؛ ويزيد من احتمالات تدافع أمواج الانتقام بين القبائل والشعوب؛ ويمكن العداوات الجماعية، ويشق عصا الجماعة الواحدة، ويحدث الفرقة بينها، فيطمع بها عدوها.

١٠ - اجتماع عدة بواعث نفسية

وقد تجتمع عدة بواعث نفسية غير كريمة من البواعث التي سبق بيانها، فتدفع مجرمي التسلط المادي المدنس، إلى العدوان على غيرهم من الأمم والشعوب.

وعندئذ تتولد طاقات عنيفة من طاقات الشر الفعالة المتحركة في اتجاه الظلم والعدوان، والتصميم على التسلط الآثم المقرون بالغايات النفسية البحتة، البعيدة عن كل هدف مثالي كريم، يعمل لصالح تقدم الإنسانية ورفع مستواها الحضاري الصحيح.

وقد نجد معظم هذه البواعث مجتمعة في جيش الغزو ذي الأجنحة الثلاثة (المستعمرين والمبشرين والمستشرقين) المتجه بقواه المادية والفكرية من كل الجهات ضد الإسلام عقيدة ونظاماً، وضد المسلمين أفراداً وجماعات معاصرين وغابرين، وضد الأرض التي لهم فيها حق وسلطان، ومساكن ومزارع وطرقا برية وبحرية، ومصادر ثروات، ومناجم خيرات.

فبينما نرى الجناح السياسي والعسكري للدول ذات المطامع الاستعمارية غربية كانت أو شرقية، يتجه نحو التسلط على الأرض والمال والأنفس، وسائر

القوى البشرية والطاقات الإنسانية في البلاد الإسلامية، نرى جناحاً آخر سائراً في موكب الغزو أو متقدماً عليه حاملاً شعاراته التي تحمل في بطائنها ألغام هدم الإسلام، وتفتيت وحدة المسلمين وإضعاف قوتهم، ويبدل ما لديه من حيلة ومكر وكيد لمساعدة الجناح السياسي والعسكري، ثم نرى جناحاً ثالثاً سائراً في موكب الغزو أو متقدماً عليه أيضاً يحمل حقايبه العلمية والثقافية والفنية، وفيها مخططات هدم العقائد والنظم والأخلاق الإسلامية، عن طريق بث النظريات الفلسفية والمادية والقانونية والنفسية المتضاربة، تحت ستار العلمانية، وفيها أيضاً مخططات تهدف إلى تفتيت وحدة المسلمين وإضعاف قوتهم، ويبدل ما لديه من حيل تلبس أثواب العلمانية المزورة لمساعدة الجناحين السابقين.

وقد تتوجه طائفة من قوى الأجنحة الثلاثة شطر أهداف واحدة ظاهراً وباطناً بينما يتفرد كل منها بتسديد أسلحته الخاصة به إلى الأهداف التي تمثل نوع الاختصاص الموكول إليه.

فبينما تكون المهمة المباشرة لقوى الجناح السياسي والعسكري الظفر بالتسلط المادي، تكون المهمة المباشرة لجناح المبشرين التبشير بعقائدها الدينية المناهضة للإسلام، والمكذبة له، ونشر الأكاذيب المنفرة من الإسلام والمسلمين، والمشوهة لتاريخهم، وتكون المهمة المباشرة لجناح المستشرقين العبث بأفكار الشعوب المسلمة عن طريق الفلسفات التي لا سند لها من الحق، والنظريات التي لم تشهد البراهين العلمية بصحتها، والأكاذيب الملصقة بالعلم زوراً وبهتاناً، مع تظاهر هذا الجناح بالعلمانية، والتحرر من الدين، وعدم الاعتراف بأية تعاليم تتصل به، والحال أن أكثر عناصره من المنتظمين في سلك التبشير، إلا أن خطة العمل الماكرة ألزمتهم بأن يتظاهروا بالعلمانية والتحرر من الدين، لتكون كلمتهم أكثر قبولاً في نفوس ضحاياهم من أبناء المسلمين.

وقوى الأجنحة الثلاثة، على اختلاف مستوياتها، ومهامها، واختصاصاتها، وتباين وجهات نظرها بحسب الظاهر، في صور لقائها وصور افتراقها، تسير متآزرة متعاونة، تؤدي وظائف يتمم بعضها بعضاً، ضمن آلة واحدة تحفى على الكثيرين روابطها، وربما تكون القيادة المحركة لها في الحقيقة

واحدة أيضاً، إلا أنها قد بالغت في ستر نفسها حتى لا تنكشف للباحثين المتبعين، وحتى تظفر بالقدرة التامة على متابعة خطتها الذكية الماكرة، وهي في مأمن من الرقباء الذين قد يدلون المعرضين للصيد على مراتب الصيادين، وينبهون الضحايا إلى منطلق طوابير جيش الغزو ذي الأجنحة الثلاثة.

(٤)

تآزر الغزاة لتحقيق الأهداف المشتركة

تتضح أهداف تنفيذية مشتركة بين الأجنحة الثلاثة، في خطط العمل التطبيقية، التي من شأنها أن تحقق لهم غايات بواعثهم النفسية.

من البدهي أن قوى الدفاع السليمة عند أية جماعة بشرية لابد أن تتألف من مجموعة عناصر، منها العناصر التالية:

العنصر الأول: القوى المادية، وتتمثل هذه القوى:

- أ - بالمقدار العددي للطاقة الحية لكتلة الدفاع البشري.
- ب - بمدى القدرة الحية البشرية المدربة على الدفاع أفراداً وجماعات، ويمثل ذلك القادة والجنود من المستويات المختلفة.
- ج - بمقدار القدرات الأخرى التي تستخدمها أو تنتفع منها كتلة الدفاع البشري، وتمثلها الأسلحة المختلفة، والحصون، والمنشآت الدفاعية، والعقبات، والمواقع المساعدة في طبيعة الأرض والمناخ.
- د - بالكفاية التموينية لكتلة الدفاع البشري وللقدرات الأخرى.

العنصر الثاني: القوى الفكرية، وتمثلها المفاهيم الفكرية، والأسس الاعتقادية، التي تنظم الأفراد في سلك كتلتهم البشرية الواحدة، والتي ينجم عنها وحدة عاطفية، تؤكد روابط الكتلة، وتدعم تماسكها.

العنصر الثالث: القوى النفسية والإرادية، وتمثلها في الأفراد وفي الجماعة الواحدة، ما لديهم من القواعد الأخلاقية المشتركة، وما لديهم من شجاعة وروح معنوية، وما لديهم من تصميم إرادي على الدفاع.

وقد أدرك جيش غزو الإسلام والمسلمين ذو الأجنحة الثلاثة هذه الحقيقة، فأعد لكل عنصر من عناصر قوى المسلمين المختلفة خطط تفتيت وهدم وتوهين. وتآزرت الأجنحة على محاربة هذه العناصر، واعتبرت محاربتها أهدافاً مشتركة تعمل على تحقيقها، وانطلق كل جناح يستعمل الأسلحة التي يقدر على استعمالها، ضمن خطوط السير التي ترسمها وتُملي تعليماتها غرفة العمليات العليا لقيادة هذا الجيش الظالم الآثم.

فبينما تكون أسلحة الجناح السياسي والعسكري دائرة بين مصاولات ومداورات الخداع السياسي والحربي، تكون أسلحة الجناح الذي يضطلع بمهامه المستشرقون دائرة بين محاورات فكرية، ودسائس علمية، وبحوث ومؤلفات دينية واجتماعية ونفسية وتاريخية مملوءة بالدس والتحوير والتلاعب بالحقائق، ومملوءة بالانتقادات والتهجمات المزورة الملفقة على المفاهيم والأفكار والأحكام والشرائع الإسلامية، ومشملة على أكاذيب موضوعة على التاريخ الإسلامي، وعلى ما يستطيعون من تعاليم الإسلام، وفي الوقت ذاته تكون أسلحة الجناح التبشيري دائرة في ميادين التعليم، والخدمات الصحية والاجتماعية بمختلف المستويات.

ولذلك نجد السلطات الاستعمارية سياسية كانت أو عسكرية، تدعم كلاً من الجناحين الاستشراقي والتبشيري دعماً كبيراً جداً، بالمال، والحماية، وتذليل المهام والإنقاذ عند اشتداد الأزمات، والتزويد بالمعلومات السياسية والعسكرية عند الحاجة، وبكل ما لديها من خبرات سياسية وإدارية، ولكنها تحاول بقدر الإمكان أن لا تتظاهر بذلك، وفي هذا الدعم تتلقى المؤسسات التبشيرية المساعدات الجمة من مختلف الدول الكبرى، على شكل مخصصات ذات أرقام عالية جداً، تستطيع أن تدعم بها ميزانياتها الضخمة، وأن تنشئ بها المؤسسات التعليمية والثقافية والصحية والاجتماعية في معظم البلاد، وأن تعد البعث وما تسميه بالإرساليات إعداداً عالياً، حتى تستطيع القيام بمهامها على أكمل وجه ممكن لها، ويضاف إلى هذه المخصصات الدولية سيل عظيم من المساعدات المالية، التي يقدمها أثرياء العالم من الذين يؤمنون بالرسالة التي يقوم

بها المبشرون، وكذلك سيل أرباح هذه المؤسسات من الأسر الإسلامية التي تدفع أبناءها إليها، والأنكى من كل ذلك ما يدفعه بعض أغنياء المسلمين لهم من تبرعات تتجمع لدى مؤسسات التبشير ميزانيات قد تفوق ميزانيات دول ذات وزن.

ويتلقى المستشرقون أيضاً دعماً مائلاً من كل السلطات الاستعمارية، والمؤسسات التبشيرية، إذ تغدق عليهم المرتبات الضخمة منها، وتعطى لهم كل إمكانيات التفرغ للبحث والمتابعة، ثم تتلقى ما ينتجونه من أعمال تلقي الصادي المتلفه، فتكافئهم عليه، وتعمل على نشره وتوزيعه توزيعاً واسعاً، وإحاطته بكل دعايات التمجيد والإكبار، وتدفع بالمنتجين إلى مراكز الصدارة العلمية بين العلماء الباحثين، وقد يكونون من القماء والضالة بحال لا يستحقون معها إلا أن يكونوا خاملين الذكر قابعين في زوايا الإهمال، إلا أن القوى المساندة المساعدة هي التي رفعتهم وأشادت بهم.

وفي مقابل ذلك تجد السلطات الاستعمارية لها سنداً مقنعاً عند كل من جناحي المستشرقين والمبشرين، ففي المراكز التبشيرية مكاتب استخبارات تزود السلطات الاستعمارية بالمعلومات المطلوبة، وفيها أيضاً مكاتب دس لتصدير الإشاعات وتصيد الأجراء، وشراء الضمائر والذمم، وقد يكون فيها مرابض قوى مادية تستعمل عند اشتداد الأزمات على السلطات الاستعمارية، وأجهزة خاصة لتقديم التقارير والتوصيات، كما أن المستشرقين يقومون بإعداد ما يلزم من تقارير ونصائح تستفيد منها السلطات الاستعمارية فوائد جمة، وتعمل بوحيتها وإشاراتها.

* * *

الفصل الثاني

خلاصة وتوجيه للمسلمين

- ١ - مقدمة .
- ٢ - العناصر الغازية .
- ٣ - نتائج حققها الغزاة .
- ٤ - خطوات العودة الحميدة .

(١)

مقدمة

بعد امتحان الغزو المادي المسلح الخائب الذي قام به الغزاة ضد الإسلام والمسلمين، استطاعوا أن يصلوا الى خطة غزو جديدة ذات شطرين:

الشرط الأول منهما: خطة غزو هدفها امتلاك نفوس أبناء المسلمين وأجيالهم الناشئة، بالشهوات ومرضيات الأهواء والنزعات، وقد وضع الغزاة تفصيلات واسعة جداً لتنفيذ هذه الخطة، وصيد أبناء المسلمين وبناتهم بها، داخل البلاد الإسلامية، وخارجها حينما يذهب هؤلاء إلى بلاد الغزاة زائرين أو دارسين أو أصحاب مصالح.

الشرط الثاني منهما: خطة غزو هدفها السيطرة على عقول أبناء المسلمين وأجيالهم الناشئة، بالأفكار وأنواع الثقافات التي يراد لها أن تحل محل المفاهيم الإسلامية الأصيلة، ولا بد أن تكون هذه الأفكار وأنواع الثقافات بعيدة عن العلوم المادية البحتة والتكنولوجيا، لأن هذه العلوم لا بد أن تخضع للتجربة المادية، ولا بد أن تمتحن بنتائجها، فإذا كانت مزيفة فلا بد أن يظهر زيفها بسرعة لدى فشلها في تقديم نتائجها المرجوة منها، على أن هذه لا تمس المفاهيم الإسلامية الصحيحة.

إذن فالأفكار والثقافات الغازية ينبغي أن تكون مما يمس المفاهيم الإسلامية، التي هي الحصن الأعظم الجامع للشعوب الإسلامية والحامي لها، وينبغي أيضاً أن تهيأ لها الظروف الملائمة والوسائل الكافية، لتزاحم المفاهيم الإسلامية، ثم تبعتها وتحل محلها، وعندئذ يظفر العدو بتحقيق كامل خطته

بسهولة ويسر، فإن لم يتيسر له ذلك، فلا أقل من أن تسلك الأفكار والثقافات الغازية طريقاً ولو طويلاً ومتعرجاً، يمكن أن ينتهي في آخر مسيرة الغزو إلى مزاحمة المفاهيم الإسلامية، وإبعادها واحتلال محلها.

فماذا عسى أن تكون ميادين هذه الأفكار والثقافات الغازية؟

إنها لا بد أن تكون ميادين لقسمين من العلوم:

القسم الأول: العلوم المتصلة بفلسفة الوجود ونشأته والغاية منه، ومصير الحياة ومصير الإنسان بعد هذه الحياة، لأن هذه العلوم، أو بالأحرى ما يسمى علوماً من أفكار لا سند لها من علم أو تجربة، هي التي يمكن أن تمس كبريات العقائد الإسلامية، إذ معظم المفاهيم الإسلامية النظرية الجذرية تدور في هذا الفلك.

وفي هذا القسم تدخل علوم الفلسفة، ونشأة الكون، ونشأة الحياة، وأصل الإنسان، والتطور، وما إلى ذلك من بحوث.

القسم الثاني: العلوم المتصلة بسلوك الإنسان في هذه الحياة، فرداً كان أو جماعة، لأن معظم المفاهيم الإسلامية العملية تدور في هذا الفلك.

وفي هذا القسم تدخل جملة من العلوم، كعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الأخلاق، وعلم الاقتصاد، وعلم السياسة، والفنون الجمالية المختلفة، وبعض النظريات التي ليس لها نتائج عملية من نظريات العلوم المادية البحتة، فمن شأن هذه العلوم - إذا صيغت ضمن نظريات مزخرفة وأحييت بهالة من التقديس العلمي المزور - أن تكون قادرة على غزو عقول الأجيال الناشئة من أبناء المسلمين وبناتهم، لا سيما إذا جاءت مقترنة ببعض الحقائق الظاهرة الخاضعة للتجربة والملاحظة، والتي ليس في إمكان الإنسان أن يزورها، والتي تقدم برهان صدقها من نتائجها المادية الظاهرة.

إذن فليكن عبور خطة الغزو الفكري أو الغزو الثقافي ضمن هذين الفلكين الثقافيين.

وهنا قامت في وجه الغزاة أسوار العلوم الإسلامية الرصينة، وحصون النصوص الإسلامية الحصينة، وأمجاد تاريخ المسلمين الناصع في جملته.

(٢)

العناصر الغازية

وبعد البحث والتأمل والاختبار والتجربة والملاحظة وتقويم النتائج، رأى الغزاة أن يهاجموا هذه الأسوار والحصون والأمجاد بخطة مأكرة جداً، تشتمل على عناصر كثيرة جداً، منها العناصر التالية:

العنصر الأول: إثارة الشبهات حول المبادئ والمفاهيم الإسلامية، وإثارة الشبهات حول النصوص المشتملة في مضمونها على هذه المبادئ والمفاهيم، وبعد العناء الطويل لم يظفروا من ذلك بطائل كبير يذكر، أو يستطيع التأثير في العقول النيرة الواعية البصيرة، وقام الباحثون من المسلمين يفتنون هذه الشبهات، ويكشفون حقيقة الإسلام الناصعة.

العنصر الثاني: تشويه المفاهيم الإسلامية، بدس أفكار غير إسلامية في أصلها، ثم بجعل بعض المسلمين يأخذونها على أنها من الإسلام، ثم بمحاربة الإسلام بها.

إن الغزاة في هذا يحاولون أن يقذفوا فينا الوباء بدسائسهم ليوجهوا لنا النقد اللاذع بعد ذلك، وليقولوا لنا: أنتم موبوؤون، وما كان فينا هذا الوباء الذي ينتقدوننا به إلا بأسباب من دسائسهم.

العنصر الثالث: تجهيل المسلمين بإسلامهم، أو صرفهم عن تفهمه تفهماً صحيحاً بدسائس كثيرة ومكايد خطيرة، وللعلماء والأجراء والمخدوعين بهم دور كبير وخطير في حمل هذه الدسائس، وتنفيذ هذه المكايد.

والغرض من هذا التجهيل أن تكون عقول المسلمين ونفوسهم وقلوبهم مستعدة بفراغها لتقبل ما تمليه عليهم خطة الغزو.

وفي تنفيذ خطة التجهيل هذه يحاربون كل نشاط تعليمي صحيح مشرق

منير، هدفه تعليم العلوم الإسلامية الحقّة، وفق الأساليب المعاصرة، ووفق الصور السليمة المقنعة القادرة على الصمود والثبات، ضدّ كلّ أنواع الغزو الثقافي الماكر.

وهذه المحاربة تتخذ طريقين: طريقاً تنتهي بإلغاء مواد تعليمية قادرة على التبصير الصحيح للأجيال الناشئة، مع اصطناع المبررات المزيفة لذلك. وطريقاً تنتهي بتعقيد المعارف الإسلامية، وجعلها في وضع عقيم الإنتاج، غير صالح لمسيرة معارف العصر، ومناهضة الثقافة الغازية، ولهذا الطريق نتيجة أخرى هم يرجونها، ألا وهي تنفير الأجيال الناشئة في البلاد الإسلامية من العلوم الإسلامية.

مع العلم بأن المعارف الإسلامية والمفاهيم الإسلامية لو صيغت صياغة مسيطرة لأساليب التعليم الحديث، مع احتفاظها بمضمونها الحق، قادرة على أن تكون هي الغازية حقاً، لأنها في مستوى القمة، بالنسبة إلى الميادين التي عالجتها في المفاهيم الكبرى والصغرى، وفي تحديد كمال السلوك الإنساني، الذي يحقق أرقى مستوى من السعادة التي يمكن تحقيقها في ظروف هذه الحياة الدنيا للفرد وللجماعة.

العنصر الرابع: تشويه واقع تاريخ المسلمين تشويهاً يجعل المسلمين يفقدون مشاعرهم بأمجادهم، وينظرون إلى تاريخهم نظرات استهانة ونقد، مع أن في تاريخهم العظيم ما ليس في تاريخ أية أمة من الأمم، علماً وحضارة وإنسانية مثالية ومجداً كبيراً.

العنصر الخامس: محاولة إقامة حجب وعقبات كثيرة بين أبناء المسلمين وبين العلوم المادية البحتة العالية والعلوم التكنولوجية الكبرى، لإقامة حاجز بينهم وبين ميادين القوة المادية الحقيقية، ثم شغلهم بسيول هائلة من العلوم الأخرى التي تشتمل على الأفكار والثقافات الغازية، والإيهام لهم بأن الاشتغال بها هو طريق التقدم العلمي الصحيح للارتقاء الحضاري.

العنصر السادس: قيادة حركة التعليم العالمية، خطة، ومناهج،

ومضامين وعناصر عمل وتنفيذ، ثم القبض على نواصي وثائق المعرفة وصكوكها الورقية التي ترتبط بها الألقاب العلمية، وكراسي التعليم في كل معاهد التعليم وجامعاته.

وكان من ضمن المعارف التي زحف الغزاة إلى قيادة التعليم فيها لمنح أعلى الوثائق فيها العلوم الإسلامية والعربية، لاستقدام أبناء المسلمين إلى بلادهم، واستدراجهم إلى شبكة الصيد التي نصبوها لهم، بغية أن ينفذوا خططهم العامة عن طريق من يستطيعون تصيده من هؤلاء الأبناء، ومتى تولى قيادة العلوم الإسلامية والعلوم العربية الخادمة لها، حملة ألقاب عليا مطبوعون بخاتم العدو ومرصوصون في قلبه، فإن خطة الغزو تكون أكثر إحكاماً وأعظم نفاذاً.

ويخرج زمرٌ من أبناء المسلمين إليهم، فيسقط من يسقط منهم في حبال الفكر والثقافات المدسوسة المزيفة، ويسقط من يسقط منهم في حبال الشهوات والمطامع، ومريضات الأهواء والنزغات، وينجو من ينجو منهم بفضل الله وعصمته، إلا أنه كما ينجو من الحريق من يدخل النار وهو يلبس الألبسة الواقية، أو كما ينجو من الغرق من يتوغل سابحاً في عباب البحر الهائج.

وهنا نقول: إن أخذ هذه العلوم الإسلامية والعلوم العربية على أيدي أعداء هذه العلوم - وإن نافقوا لها وتظاهروا بالإخلاص لها في البحث العلمي - يمثل خطراً عظيماً على الأمة الإسلامية، ويمهد للغزاة سبيل الغزو للإسلام نفسه ولو بعد حين.

ولكن ثقتنا بالله أن الله لن يمكنهم من ذلك لأنه تكفل بحفظ كتابه، وإن من حفظ الله أن يتخذ المسلمون الخطط والوسائل اللازمة للحماية.

ومن العجيب أن كراسي العلوم الإسلامية في الجامعات العالمية إنما يتولاها في هذه الجامعات من لا يدين بالإسلام، بينما لا يتولى كراسي العلوم النصرانية إلا عالم من علماء النصرانية، ولا يتولى كراسي العلوم اليهودية إلا عالم باليهودية من علماء اليهود، فماذا فعل المسلمون تجاه واجبهم الذي يقضي عليهم بانتداب علماء من المسلمين يتولون كراسي العلوم الإسلامية في الجامعات العالمية؟!.

وفتتنا الكبرى بشهادات الماجستير والدكتوراه، نهت الغزاة إلى خطة جديدة يسلكونها عن طريق هذه الشهادات.

جاء في كتاب المشكلة الشرقية P. 1957- «Eastern Problem London»
«149 ما يلي:

«لا شك أن المبشرين فيما يتعلق بتخريب وتشويه عقيدة المسلمين قد فشلوا تماماً.

ولكن هذه الغاية يمكن الوصول إليها من خلال الجامعات الغربية. فيجب أن تختار طلبة من ذوي الطبائع الضعيفة والشخصية الممزقة والسلوك المنحل من الشرق ولا سيما من البلاد الإسلامية وتمنحهم المنح الدراسية. وحتى تبين لهم الشهادات بأي سعر، ليكونوا المبشرين المجهولين لنا، لتأسيس السلوك الاجتماعي والسياسي الذي نصبو إليه في البلاد الإسلامية.

إن اعتقادي القوي بأن الجامعات الغربية يجب أن تستغل استغلالاً تاماً جنون الشرقيين للدرجات العلمية والشهادات، واستعمال أمثال هؤلاء الطلبة كمبشرين ووعاظ ومدرسين لأهدافنا ومآربنا، باسم تهذيب المسلمين والإسلام».

العنصر السابع: تشويه الإسلام بتحريف معانيه ونصوصه، وإخراجها عن مواقع دلالاتها المرادة.

(٣)

نتائج حققها الغزاة

ووقع المسلمون من جراء أعمال الغزاة، وبأسباب من أنفسهم، في أمراض وانحرافات، يجب عليهم أن يتخلصوا منها، حتى يستعيدوا مجدهم في العالم، ويحتلوا مراكز القيادة الحضارية المثلى.

ومن هذه الأمراض والانحرافات ما يلي:

- ١ - مفاهيم غير صحيحة، مهيمنة على أفكار كثيرين منهم، منها مستحدث، ومنها موروث من عصور الانحطاط.

٢- الانبهار بظواهر الحضارة المادية الحديثة، وهذا الانبهار يسوق إلى التقليد الأعمى، الذي تغدو فيه القوى الفكرية والنفسية والإرادية معطلة مشلولة، وتغدو فيه القوى الجسدية المختلفة مندفعة اندفاعاً أرعن وراء جهة الانبهار.

٣- التخلف العلمي والعملي عما يجب أن يكونوا عليه، والسابقين إليه قبل كل سابق من أمم الأرض، بموجب قوة الدفع الحضاري الموجود في تعاليم الإسلام وتوجيهاته ووصاياه.

٤- تلقي الضربات المتتاليات من قبل أعدائهم وأعداء دينهم، الطامعين ببلادهم والعاملين على إخراجهم من دينهم وأخلاقهم الإسلامية، وتفتيت وحدتهم الكبرى إلى أجزاء صغرى لا كيان لها ولا وزن لها بين أمم الأرض.

ومن شأن هذه الضربات المتتاليات أن ترسم في النفوس الضعيفة صوراً من اليأس والقنوط، وترسم في النفوس القوية صوراً من الأمل والرغبة بالتنافس والتحدي، ولكن هجر عامة المسلمين لإسلامهم أضعف نفوسهم.

٥- تأثر معظم طلائع الأجيال الحديثة بحملات الغزو الفكري، والنفسي، والاجتماعي، والسياسي، والسلوكي، الذي غزانا به أعداء الإسلام من مختلف الأشكال والأجناس والألوان.

وبعض هذا الغزو قد جاءت حملاته إلينا، وبعض هذا الغزو قد حُمِل أبنائنا إليه.

٦- تخلي معظم المسلمين عن التطبيقات الإسلامية، وارتداد كثيرين من أبناء المسلمين عن العقيدة والمفاهيم الإسلامية ارتداداً كلياً.

٧- انتشار الجهل بالمفاهيم والتعاليم الإسلامية الصحيحة، وانشغال النفوس والأفكار بمطالب الأجساد والشهوات والأهواء.

(٤)

خطوات العودة الحميدة

والعمل للإسلام الحق يتطلب من طلائع الوعي الإسلامي حركة فعالة متزنة، تتسم بطول الصبر، وسعة الصدر، وعدم استعجال النتائج، والتخطيط للأمد البعيد، بفكر عميق مستفيد من تجارب الماضي وعظاته، لتقف بقوة وثبات بعيدين عن الثورات الانفغالية الآنية في المواجهة المضادة لأعمال الغزو، وفي البناء الإيجابي الفعال للفكر الإسلامي، وللأمة المسلمة الصحيحة.

ولهذه الحركة الإسلامية أن تستفيد من خطة العمل التالية:

١ - ينطلق العمل الإسلامي بالاعتماد على عنصرين رئيسيين من عناصر العمل الفعالة المنتجة بهدوء واتزان ودأب:

العنصر الأول: مثقفون ثقافة إسلامية واعية، متسمة بعمق التفكير، وسعة الأفق، ورحابة الصدر، وقوة الحجة، والفاعلية الدائبة.

العنصر الثاني: جمهور من الملتزمين بالإسلام عقيدة وعملاً، الغيورين عليه، المتحمسين للاضطلاع بمسؤولياتهم نحوه، أياً كانت مجالات عملهم في اكتساب الرزق، مع زاد مناسب من الثقافة الإسلامية.

٢ - منهاج العمل:

لإعداد عنصري العمل السابقين يمكن رسم بعض الخطوات الرئيسية دون الدخول في التفاصيل.

الخطوة الأولى: الانطلاق إلى العمل، وتتم هذه الخطوة بإحدى وسيلتين:

أ - إما باندفاع نواة أولى صالحة للاستقطاب، مزودة بكفاءة طيبة للعمل، ومعرفة إسلامية واسعة، وأخلاق قيادية حكيمة.

ب - وإما بتجميع نخبة ممتازة من الباحثين الإسلاميين، ليصدر عنهم مجتمعين الانطلاق إلى العمل، مع التخفيف من مشكلات القيادات الجماعية ما أمكن.

الخطوة الثانية: وضع ميثاق إسلامي عام، يمكن أن يلتقي عليه معظم المسلمين وأن يلتزموا به، ومن طبيعة هذا الميثاق أن يكون بعيداً عن إثارة كل النقاط الخلافية الفرعية.

الخطوة الثالثة: وضع منهاج التثقيف الإسلامي العام، باختيار البحوث الإسلامية التي يحتاج إليها المسلم المعاصر.

ويتم وضع هذا المنهاج، ثم تؤخذ الموافقة عليه من قبل علماء المسلمين الموثوقين المنبئين في الأقطار الإسلامية.

الخطوة الرابعة: إعداد المصنفات الإسلامية الحديثة، أو انتقاء المناسب منها، على أن تتناول بالبحث الموضوعات المقررة للتثقيف الإسلامي العام، وتصدر هذه المصنفات بعد الموافقة على إصدارها من قبل عدد من علماء المسلمين الموثوقين في الأقطار الإسلامية.

وينبغي أن تتفادى هذه المصنفات عناصر الخلافات المذهبية العنيفة، ما لم تتصل بجوهر العقيدة الأساسية.

وينبغي أيضاً أن تكون هذه المصنفات ذات مستويين أو أكثر، مستوى ابتدائي يُعدّ لتثقيف الجماهير المسلمة بالثقافات الإسلامية المطلوبة، ومستوى متوسط ثم مستوى آخر عال، لتثقيف زمرة العنصر الأول بالثقافات الإسلامية التفصيلية، المدعمة بالحجج والبراهين المقنعة.

الخطوة الخامسة: إعداد جيش المثقفين ثقافة إسلامية راقية، مقرونة بوعي والتزام واتزان.

ويجب أن تكون دوائر التثقيف الإسلامي الراقي في حالة اتساع مستمر، ومن بين هذا الجيش المثقف بالثقافة الإسلامية الراقية تتفجر القيادات الحكيمة الرزينة، الحريصة على متابعة الجهد التثقيفي، والعمل للإسلام بغيرة وإخلاص.

الخطوة السادسة: التوعية الإسلامية العامة، بمستويات تتناسب مع حال الجماهير المختلفة، مع التربية الحكيمة على الالتزام بالتطبيق الدقيق للأحكام

والأخلاق الإسلامية، دون شدة أو عنف في بعض الفروع الشكلية البحتة. ويدخل في هذه الخطوة تكليف كل مثقف إسلامي - سواء أكان من زمرة العنصر الأول أو من زمرة العنصر الثاني - نقل ما تزود به من معرفة إسلامية، ونقل ما التزم به من سلوك إسلامي إلى غيره، عن طريق الدعوة، أو التأثير بالقدوة الحسنة، وذلك ضمن برنامج تفصيلي محدد، يفرض على كل عامل وظيفة يومية يباشرها في ميدان التثقيف والتوعية الإسلامية.

ويجب أن يكون التثقيف بالأساليب المؤثرة، التي لا تثير عصبية الآخرين، ولا تحرضهم على الاستمسك بالباطل والإصرار عليه، وسلوك مسلك العناد والمخالفة.

ومن أمثلة الأساليب الرفيعة المؤثرة، الاستدراج إلى الإقرار بالفكرة، بعد وضع هالة حولها من الحجج الخفية والبراهين غير المباشرة، وذلك قبل الإعلان التام عنها، فهذا الأسلوب يظن الآخر أنه هو صاحب الفكرة ومبتكرها، فيستمسك بها، ومن الأساليب أيضاً أن يهدي حامل رسالة التوعية صديقاً أو زميلاً له كتاباً إسلامياً، يشعره بأنه اطلع عليه وأعجب به، أو يضعه بين يديه ليقرأه ويبيدي فيه رأيه بعد فترة كافية لقراءته، مع متابعته برفق، واستنجاهه قراءته برقة متناهية.

الخطوة السابعة: تبريد حرارة الخلافات المذهبية، والعمل على تقريب وجهات النظر بطريق لا جدال فيها ولا مشاحنات، مهما دعا الانفعال إلى ذلك.

وطريق تبريد حرارة الخلافات المذهبية البث العارض، أو الكتابات المتسمة بالاعتدال والرفق واللين، وتكريم كل جهة من جهات الخلاف، وعرض الحق مقترناً بالدليل، دون إبراز صورة التعصب له.

الخطوة الثامنة: فضح دسائس أعداء الإسلام الفكرية والعملية بين المسلمين، وإبراز الصورة الإسلامية المشرقة الحقة، بكل وسيلة من وسائل الإعلام والتنوير العام.

واتخاذ الوسائل الكفيلة بحماية أبناء المسلمين حماية تامة من المواطن التي تكثر فيها شبكات الصيد التي ينصبها الأعداء الغزاة.

الخطوة التاسعة: استغلال مختلف المشاعر الإنسانية، لإيقاف المسلمين موقف الحذر في مواجهة كل غزو فكري يمس عقائدهم وعباداتهم وأخلاقهم ونظمهم الإسلامية ووحدتهم العالمية.

وضرورة هذه الخطوة تظهر حينما نلاحظ افتتاح معظم النفوس بالمدينة الحديثة، التي تأتي ومعها المتفجرات السرية لهدم العقائد والأخلاق.

الخطوة العاشرة: تجنب أي صراع مباشر مع أية حركة إسلامية مهما كان نوعها، لأن هذا الصراع من شأنه أن يبدد طاقات المسلمين تبديداً داخلياً، يسمح لأعداء الإسلام بأن يظفروا بأطراف النزاع، بينما يجب تجميع القوى الإسلامية كلها، لتكون في مواجهة أعدائهم الكثيرين.

الخطوة الحادية عشر: توجيه قدر كبير من طاقات العمل إلى بلاد الغزاة، لنشر الإسلام الصحيح الصافي فيها، بمختلف وسائل النشر، مع إعطاء صورة سليمة للتطبيق الإسلامي.



خاتمة

لا أزعم أنني في هذا السِّفرُ أحصيت كل أنواع المكر التي مكرتها قوى الأجنحة الثلاثة وخوافيها، ولكنني بالتأكيد قد نبهت على معظمها، ووجهت الأنظار إلى الاحتراس منها، ولجأت إلى طريقة التحليل، واستخلاص العظة، وبيان ما يجب عمله تجاه القوى المختلفة للأعداء الكثيرين، وإنني واثق من أن الله سينصر أوليائه على أعداء دينه مهما كثرت أعدادهم وعظمت قواتهم، بشرط أن يصدقوا إيماناً وعملاً وجهاداً، ويحققوا في أنفسهم ما يجب عليهم للظفر بالنصر كما أمرهم الله.

وكان الفراغ من تنسيقه وتنقيحه في أواخر جمادي الثانية من العام الهجري ١٣٩٥ الموافق لشهر حزيران من العام الميلادي ١٩٧٥.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد الرحمن بن جنة الميواني

المراجع

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - كتب التفسير .
- ٣ - كتب السنة النبوية .
- ٤ - أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني .
- ٥ - تاريخ الحروب الصليبية، ستيفن رنسيما ت ترجمة د. السيد الباز العريبي .
- ٦ - الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد محمد حسين .
- ٧ - الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، مالك بن نبي .
- ٨ - الهلال الشهيد، ريمون شارل .
- ٩ - مناهج الانقلاب الإسلامي، أبو الأعلى المودودي .
- ١٠ - عبقرية الإسلام في أصول الحكم، د. منير العجلاني .
- ١١ - دراسات إسلامية، سيد قطب .
- ١٢ - تاريخ الدعوة إلى العامة وآثارها في مصر، نفوسه زكريا سعيد .
- ١٣ - القادياني والقاديانية، أبو الحسن الندوي .
- ١٤ - غارة الاستعمار والتبشير في العالمين العربي والإسلامي، محمود مهدي استانبولي .
- ١٥ - حركة تحديد النسل، أبو الأعلى المودودي .
- ١٦ - تاريخ الجنس العربي، محمد عزة دروزة .
- ١٧ - تاريخ القرن العشرين، نور الدين حاطوم .
- ١٨ - تاريخ الأمة العربية عصر الانحدار، محمد أسعد طلس .

- ١٩ - الاستعمار والصهيونية العالمية، محمد مصباح حمدان.
- ٢٠ - التبشير والاستعمار في البلاد العربية، د. عمر فروخ - ود. مصطفى الخالدي.
- ٢١ - الغارة على العالم الإسلامي، أ. ل شاتليه لخصها ونقلها إلى العربية مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب.
- ٢٢ - العالم الإسلامي ومحاولة السيطرة عليه، محمود شاكر.
- ٢٣ - الغزو الفكري، محمد جلال كشك.
- ٢٤ - العرب والإسلام، أبو الحسن الندوي.
- ٢٥ - المبشرون المستشرقون في موقفهم من الإسلام، الدكتور محمد البهي.
- ٢٦ - الاستشراق والمستشرقون، الدكتور مصطفى السباعي.
- ٢٧ - معركة المصحف في العالم الإسلامي، الشيخ محمد الغزالي.
- ٢٨ - المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، الشيخ محمد محمود الصواف.
- ٢٩ - أعمدة الحكمة السبعة، ت. أ - لورانس.
- ٣٠ - الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، أبو الحسن الندوي.
- ٣١ - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي.
- ٣٢ - العرب والإسلام، أبو الحسن الندوي.
- ٣٣ - التقليد، محمد أسد (ليوبولدفايس).
- ٣٤ - بين الدعوة القومية والرابطة الإسلامية، أبو الأعلى المودودي.
- ٣٥ - مذبحة المسلمين في رانش بالهند، أبو الأعلى المودودي.
- ٣٦ - جاهلية القرن العشرين، محمد قطب.
- ٣٧ - الإسلام حائر بين أهله، محمد عبدالله السمان.
- ٣٨ - حصوننا مهددة من داخلها، د. محمد محمد حسين.
- ٣٩ - الإسلام المفترى عليه، محمد الغزالي.
- ٤٠ - الحضارة الإسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية، فون كريم تعريب مصطفى طه بدر.
- ٤١ - شبهات حول الإسلام، محمد قطب.

- ٤٢ - الإسلام والاستبداد السياسي، محمد الغزالي.
- ٤٣ - الاقتصاد السياسي، د. علي عبد الواحد وافي.
- ٤٤ - نظام العمل في الإسلام، جمال الدين عياد.
- ٤٥ - مشكلاتنا الاجتماعية، محمد عطية الأبراشي.
- ٤٦ - المذاهب الاقتصادية الكبرى، د. راشد البراوي.
- ٤٧ - قواعد المنهج في علم الاجتماع، أميل دوركهيم ترجمة د. محمود قاسم ود. سيد محمد بدوي.
- ٤٨ - العدالة الاجتماعية، سيد قطب.
- ٤٩ - الرد على الشيوعيين العراقيين، د. علي عبد الواحد وافي.
- ٥٠ - أفيون الشعوب (المذاهب الهدامة)، عباس محمود العقاد.
- ٥١ - دور الماركسية في الاشتراكية العربية، د. عمر حليق.
- ٥٢ - اشتراكيتههم وإسلامنا، بشير العوف.
- ٥٣ - بلشفة الإسلام عند الماركسيين والاشتراكيين العرب، د. صلاح الدين المنجد.
- ٥٤ - التضليل الاشتراكي، د. صلاح الدين المنجد.
- ٥٥ - الإسلام أمام الرأسمالية والماركسية، د. معروف الدواليبي.
- ٥٦ - المذاهب الاقتصادية الكبرى، جورج سول ترجمة راشد البراوي.
- ٥٧ - النظم الاقتصادية، د. محمد حمدي النشار.
- ٥٨ - خطوط رئيسية في الاقتصاد الاسلامي، محمود أبو السعود.
- ٥٩ - الاقتصاد الإسلامي وتطبيقه على المجتمع المعاصر، د. محمد عبدالله العربي.
- ٦٠ - الخطر اليهودي. بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة محمد خليفة التونسي.

وكتب أخرى كثيرة.

فَهْرُسُ الْمَوْضُوعَاتِ

الموضوع	الصفحة
بسم الله الرحمن الرحيم - دُعاء	٧
مقدمة الطبعة الرابعة	٩
مقدمة الطبعة الأولى	١٣
القسم الأول: الغزو بالحيل ووسائل المكر غير المباشر	١٥
(الفصل الأول) مقدمات عامة	١٧
(١) الحروب الصليبية وفشلها وتحول اتجاهها	١٨
١ - العوامل التي مهدت لطمع الصليبيين بالمسلمين	١٨
٢ - الحروب الصليبية أيقظت المسلمين من نومهم	١٩
٣ - تجربة حروب أفنعت الصليبيين بضرورة التحول إلى مخطط آخر .	٢١
٤ - التحول الصليبي إلى خطط الغزو الفكري ، مع ما يتيسر لهم من	
غزو عسكري	٢٣
(٢) الغزو الفكري وخطره	٢٥
(٣) تاريخ ظاهرة الغزو الفكري	٢٧
- صور من حملات الغزو الفكري تحت عنوان الحركة التبشيرية .	٢٩
- الوجود المسيحي في الخليج العربي	٣٠
- من خطاب البابا شنودة لشعب الكنيسة في مصر	٣٧
- عمليات التنصير في أندونيسيا	٣٨

- (٤) المهمات الرئيسية لأعداء الإسلام ٤٠
- (٥) المنهج الرئيسي للغزو الفكري ٤٣
- (٦) الوسائل الرئيسية للغزو الفكري ٤٧
- (٧) تعريفات للأجنحة الثلاثة (التبشير والاستشراق والاستعمار) ٥٢
- (٨) المؤازرون من الداخل لقوى المكر الخارجية ٥٥
- ٥٩
- (الفصل الثاني) المبشرون وأعمالهم ٥٩
- (١) عرض موجز لتاريخ التبشير وأعمال المبشرين ٦٠
- ١ - الغارة على العالم الإسلامي من «لوشاتيليه» ٦٠
- ٢ - لمحة عن تاريخ التبشير من «أدوين بلس» ٦٢
- ٣ - المبشر «زويمر» وكتابه (العالم الإسلامي اليوم) ٦٧
- ٤ - ما كتبه المبشر «هورتي» حول التبشير في الهند ٦٩
- ٥ - تقارير حول التبشير في البلاد العربية ٧١
- ٦ - اهتمام المبشرين بالمرأة ٧٢
- ٧ - تخوف المبشرين من الإسلام أكثر من أية قوة أخرى ٧٤
- ٨ - السياسة التعليمية عند المبشرين ٧٧
- ٩ - المدارس الأجنبية والتبشيرية ٧٩
- (٢) مؤتمرات المبشرين ٨٩
- ١ - مؤتمر القاهرة التبشيري ٨٩
- ٢ - مؤتمر «ادنبرج» التبشيري ٩٥
- ٣ - مؤتمر «لكنو» التبشيري ٩٨
- ٤ - مؤتمر «القدس» التبشيري ١٠٠
- ٥ - مؤتمرات أخرى ١٠٣
- (٣) مجالات أنشطة المبشرين ١٠٤
- ١ - التحدي المباشر عن طريق المناظرة ١٠٤
- ٢ - مجال الخدمات الصحية ١٠٥
- ٣ - تأسيس الكنائس ١٠٥
- ٤ - تأسيس المدارس ١٠٥

- ٥ - الخدمات الاجتماعية ١٠٦
- ٦ - العلاقات الاجتماعية ١٠٦
- ٧ - استغلال الأزمات ١٠٦
- ٨ - تأسيس الإذاعات ١٠٧
- ٩ - توزيع المطبوعات والمنشورات ١٠٧
- ١٠ - الإغراء بين الجنسين ١٠٧
- ١١ - تأسيس الجمعيات والمنظمات وغير ذلك ١٠٨
- (٤) التآزر بين المبشرين والمستعمرين ١١١
- (٥) الأموال التي تجمع للتنصير مع إعداد المنصرين والوسائل ١١٨
- (الفصل الثالث): المستشرقون وأعمالهم ١١٩
- (١) تعريف عام بالاستشراق والمستشرقين ١٢٠
- (٢) موجز تاريخ الاستشراق ١٢٢
- (٣) مدارس الاستشراق ١٢٦
- (٤) دوافع المستشرقين وأهدافهم ١٢٧
- (٥) مجالات أنشطة المستشرقين ١٣٤
- (٦) أخطر وسائل المستشرقين الفكرية ١٣٨
- أمثلة من افتراءاتهم ١٤١
- (٧) موازين البحث عند المستشرقين ١٤٣
- تلخيص موازين البحث عندهم ١٤٩
- (٨) الجامعات الغربية وأثر المستشرقين فيها على المسلمين ١٥١
- شهادة صدق ١٥٤
- (٩) مقارنة بين التبشير والاستشراق وأعمالهما ١٦٠
- (١٠) المستشرقون يدركون قدرة الإسلام الذاتية ١٦٥
- (الفصل الرابع): الاستعمار والمستعمرون ١٦٧
- (١) فكرة عامة عن بدء الاستعمار ١٦٨
- (٢) الاستعمار الغربي للبلاد الإسلامية العربية ١٧٤
- (٣) الاستعمار البريطاني للهند وآثاره ١٧٩

- (٤) أبرز أعمال الكيد التي قام بها الاستعمار في بلاد المسلمين ١٨١
- (٥) وثيقة من دولة استعمارية لنصارى وطنيين ١٨٥
- (الفصل الخامس): عناصر التلاقي والأهداف والأعمال
- المشتركة للأجنحة الثلاثة ١٨٧
- (١) الالتقاء على الكراهية والحقد ١٨٨
- (٢) الالتقاء على كسب المغنم ١٩١
- (٣) الالتقاء على محاربة الإسلام وتطبيقاته ١٩٤
- (٤) محاولات الفصل الكلي بين الإسلام والمسلمين ١٩٧
- (٥) محاولات الفصل الجزئي بين الإسلام والمسلمين ٢٠٠
- (الفصل السادس): وسائل الغزاة وحيلهم ٢٠٧
- (١) مقدمة عامة ٢٠٨
- (٢) وسائل الغزو غير المسلح ٢٠٩
- (٣) شرح الوسائل ٢١١
- الوجوه المستعارة ٢١١
- الخداع السياسي ٢١٣
- الضغط السياسي ٢١٧
- الحصار الاقتصادي ٢١٩
- الحصار العلمي والثقافي ٢٢١
- التمييز الطائفي ٢٢٤
- التمييز العنصري والقومي ٢٢٧
- التضليل الفكري ٢٢٩
- العبث النفسي ٢٣٢
- حيل السلب المالي ٢٣٨
- الإفساد الاجتماعي ٢٤١
- الإفساد الخلقي والسلوكي ٢٤٣
- (الفصل السابع) من وسائل الغزو الجديد: التفرغ والملاءمة ٢٤٩
- (١) مقدمة ٢٥٠

- (٢) عناصر الخطة ٢٥٢
- (٣) وسائل التفريغ ٢٥٣
- (٤) عمليات ملء الفراغ ٢٦١
- (٥) تسخير الجيش الجديد من أبناء الأمة ٢٦٢
- (الفصل الثامن): خطط العدو لغزو الإسلام بتفريغه من مضامينه ... ٢٦٣
- (١) خطة وغرض ٢٦٤
- (٢) التحريف في مفهوم التوكّل على الله ٢٦٤
- (٣) سوء فهم معنى الرضى بالقضاء والقدر ٢٦٧
- (٤) محاولات الغزاة إلغاء ركن الجهاد في سبيل الله ٢٧٠
- الخطة الأولى: استغلال ردود الأفعال الناتجة عن توجيه الاتهام ٢٧١
- الخطة الثانية: تفريغ الجهاد في سبيل الله من مضامينه ٢٧٥
- الخطة الثالثة: حيلة الربط الدوري ٢٧٦
- الخطة الرابعة: اصطناع الفرق العميلة الأجيّة (البهائية - القاديانية) ٢٧٧
- الخطة الخامسة: استغلال المنظمات الدولية (الماسونية - الروتاري -
- الليونز) ٢٨٦
- الخطة السادسة: التوريط والإحباط ٢٨٩
- الخطة السابعة: خطة تقديم صور مصطنعة من جهاد قتالي ٢٩٠
- (٥) محاولات تفريغ الإسلام من أحكام المعاملات وسائر شؤون الحياة ٢٩٢
- (٦) محاولات إلغاء تطبيق أحكام الأحوال الشخصية الإسلامية ٢٩٤
- (٧) التلاعب بالأحكام الإسلامية بحيلة المرونة في الشريعة ٢٩٦
- (٨) حيلة خلط معنى التمسك بالمحمود بالحق بمعنى التعصب الجاهلي
- المذموم ٢٩٨
- (٩) التلاعب بعبارات التقديمية والرجعية والتمدن والتخلف ونحوها ٣٠١
- (١٠) حيلة التحسّر على افتقار الأمة العربية إلى فلسفة ترفع من شأنها ٣٠١
- (١١) حيلة التمجيد بعبقريّة محمد لتفريغ دعوته من كونها رسالة ربانية ٣٠٤

(الفصل التاسع): الغزاة وأعمالهم في هدم وحدة المسلمين وتقليل

- أعدادهم ٣٠٧
- (١) مقدمة عامة ٣٠٨
- (٢) التجزئة باستغلال الخلافات السياسية ٣١١
- (٣) تفتيت وحدة المسلمين هدف مشترك لدى أجنحة المكر ٣١٣
- (٤) دسائس وألاعيب استعمارية لتمزيق وحدة المسلمين ٣١٥
- (٥) التقسيم الطبقي ٣١٨
- (٦) هدم الخلافة الإسلامية ٣٢٠
- (٧) مكيدة تحديد النسل ٣٢٣
- (الفصل العاشر): الغزو بفكرة القومية ٣٣٣
- (١) خطة وأهداف ٣٣٤
- (٢) مغالطة جدلية ٣٣٧
- (٣) موقع الشعب العربي بين الشعوب الإسلامية الأخرى ٣٣٩
- (٤) تقبل المبادئ الأخرى بعد التفرغ بفكرة القومية ٣٤١
- (٥) الأمة العربية قبل الإسلام وبعده ٣٤٣
- (الفصل الحادي عشر): أعمال الغزاة ضد اللغة العربية ٣٥١
- (١) مقدمة عامة حول أهمية اللغة ٣٥٢
- (٢) الاستعمار ومحاربه للعربية الفصحى ٣٥٤
- (٣) الدعوة إلى نشر العاميات واللهجات الإقليمية ٣٥٧
- (٤) نظرة تاريخية إلى حركة التحويل عن الفصحى ٣٥٩
- (٥) ردود على مزاعم خصوم الفصحى ٣٧٠
- (٦) دغدغة العواطف القومية القديمة للتحويل عن العربية الفصحى ٣٧٥
- (٧) مزاعم إصلاح رسم الخط العربي ٣٧٩
- (٨) غزو الفصحى عن طريق العبث بقواعدها ٣٨٣
- (٩) غزو اللغة العربية بالمفردات الأجنبية الدخيلة ٣٨٦
- (١٠) طلائع المستجيبين لمكيدة إحلال العاميات محل الفصحى ٣٨٨
- (١١) نحن والغزاة ٣٩٠

(الفصل الثاني عشر): الغزاة وتفصيل أعمالهم في الإفساد الخلقي

- والسلوكي ٣٩٩
- (١) تكسير معاهد الترابط الاجتماعي وتقطيع أوصاله ٤٠٠
- (٢) العبث بجذور الأخلاق ٤٠٢
- (٣) طريقا التضليل الفكري والاستدراج إلى الانحراف السلوكي ٤٠٥
- (٤) الوسائل: ٤٠٧
- الأولى: استخدام عنصر المال ٤٠٧
- الثانية: استخدام عنصر النساء ٤١٠
- الثالثة: الاهتمام بالمرأة في مجالات العلم والثقافة والفن ٤١٣
- الرابعة: فتنة الاختلاط وسفور المرأة ٤١٥
- الخامسة: الآداب والفنون ٤٢١
- السادسة: عنصر الحكم ٤٢٢
- السابعة: المسكرات والمخدرات ٤٢٥
- الثامنة: اللهو واللعب ٤٢٧
- التاسعة: اهتمام الغزاة بإفساد الفتيان والفتيات ٤٣١
- العاشرة: الترف والرفاهة ٤٣٦
- الحادية عشرة: سياسة المستعمرين غير الأخلاقية ٤٣٨
- الثانية عشرة: استخدام الفكر الإلحادي ٤٣٩

(الفصل الثالث عشر): الغزو بالمذاهب الاقتصادية

- (١) مقدمة عامة ٤٤٦
- (٢) بين اتجاهين متباينين ٤٤٧
- (٣) وسائل إيقاف نشاط غزو المذاهب المخالفة للإسلام ٤٤٩
- (٤) نظام الإسلام على قمة وعن يمينها ويسارها منحدران ٤٥١
- (٥) قدوم المذاهب الاقتصادية المخالفة لنظام الإسلام ٤٥٥
- (٦) لا تكفي الكلمة وحدها ٤٥٧
- (٧) الأسس العامة لنظام الإسلام الاقتصادي ٤٦٢

(٨) مقارنة بين الأسس العامة للنظام الاقتصادي في الإسلام والنظم الأخرى	٤٦٨
(٩) فرية ربط التخلف الصناعي بنظام الإسلام	٤٧٤
(١٠) اصطناع المناخات المناسبة لتقبل الأفكار والمذاهب الغازية	٤٧٦
(١١) التعلل بعدم وجود دولة تطبق نظم الإسلام وتحميها	٤٧٨
(الفصل الرابع عشر): ما تعانيه الحركات والمؤسسات الإسلامية من قبل	
الغزاة	٤٨١
(١) مقدمة عامة	٤٨٢
(٢) الكمين والإثارة	٤٨٣
(٣) الفقر الذي تعاني منه المؤسسات والحركات الإسلامية	٤٨٥
القسم الثاني: الغزو بالهجوم المباشر على الإسلام عن طريق	
إثارة الشبهات على شرائعه وفيه مقدمة وسبعة فصول ...	٤٨٧
المقدمة	٤٨٩
(الفصل الأول): شبهات حول المثالية والواقعية في الإسلام	٤٩٣
(الفصل الثاني): شبهات حول الروحية والمادية	٥٠١
(الفصل الثالث): شبهات حول بعض العبادات في الإسلام	٥١٥
(الفصل الرابع): شبهات حول الزكاة	٥٢٣
(الفصل الخامس): شبهات حول العقوبات في الإسلام	٥٢٩
(الفصل السادس): شبهات حول الرق	٥٤٥
(الفصل السابع) شبهات حول حقوق المرأة في الإسلام	٥٦٥
أ - تنوع الخصائص والاستعدادات الفطرية	٥٦٦
ب - الإسلام ينقذ المرأة	٥٦٨
ج - مسؤولية المرأة الدينية	٥٧٥
د - المرأة والتكاليف الدينية الفرعية	٥٧٨
هـ - حقوق المرأة الشخصية والاجتماعية	٥٨٣
و - ميراث المرأة في الإسلام	٥٨٧

- ز - الإسلام وتعليم المرأة ٥٩٠
- ح - المرأة والمبايعة في الإسلام ٥٩٦
- ط - المرأة والعاطفة بين الحضارة والشهادة ٥٩٨
- ي - القوامة في الأسرة ٦٠١
- ك - مستلزمات القوامة ٦٠٦
- ل - المرأة والطلاق ٦١١
- موجبات الإذن بالطلاق ٦١٢
- حق مباشرة الطلاق ٦١٧
- (الفصل الثامن): أجوبة أسئلة تشكيكية موجهة من «الآباء البيض» ... ٦٢٣
- (١) بيان الأسئلة ٦٢٤
- (٢) مقدمة عامة ٦٢٦
- (٣) الحرية في مفهومنا الإسلامي ٦٣٣
- (٤) المساواة في مفهومنا الإسلامي ٦٤٢
- (٥) شعارا الحرية والمساواة صناعة يهودية ٦٤٩
- (٦) أجوبة الأسئلة الموجهة: ٦٥٠
- أولاً: أسئلتهم حول الحرية وأجوبتها ٦٥٢
- ثانياً: أسئلتهم حول المساواة وأجوبتها ٦٦٧
- القسم الثالث: نظرات عامة حول دوافع الغزو في الناس وتلخيص وتوجيه للمسلمين ٦٩٥
- (الفصل الأول): دوافع الغزو إمّا إصلاحية ربانية وإمّا عدوانية ومطامع إنسانية ٦٩٧
- (١) ربّانية أو عدوانية ٦٩٨
- (٢) الجهاد المقدس ٦٩٨
- أ - أهدافه ٦٩٨

- ب - الدعوة إلى الجهاد المقدس في التوراة والانجيل والقرآن ٧٠١
- ج - وسائل الجهاد المقدس ٧٠٤
- د - استخدام وسائل العنف في الجهاد المقدس ٧٠٧
- هـ - الشروط التي يجب توافرها أثناء القتال في جهاد مقدس ٧٠٩
- و - الروح المعنوية العالية لدى حملة رسالة الجهاد المقدس ٧١٢
- (٣) أهداف محاولات التسلط المادي المرتبط بالدوافع العدوانية ٧١٥
- ١ - الرغبة بإشباع الشهوة إلى الحكم والسلطان ٧٢٠
- ٢ - الرغبة بابتزاز الأموال والاستيلاء على مصادر الثروات ٧٢٣
- ٣ - الرغبة باحتلال أرض ذات امتيازات طبيعية مفضلة ٧٢٥
- ٤ - الرغبة بتسخير الشعوب ٧٢٦
- ٥ - الرغبة بالتوسع في الأرض للاستيطان أو الاستغلال ٧٢٨
- ٦ - الرغبة بالانتقام تنفيساً عن الكراهية والأحقاد الموروثة ٧٣٠
- ٧ - الرغبة بإرضاء نوازغ الحسد ٧٣٤
- ٨ - خوف صاحب السلطان على سلطانه من عناصر قوته البشرية .. ٧٣٧
- ٩ - بواعث متفرقة أخرى ٧٣٩
- ١٠ - اجتماع عدة بواعث ٧٤٢
- (٤) تآزر الغزاة لتحقيق الأهداف المشتركة ٧٤٤
- (الفصل الثاني): خلاصة وتوجيه للمسلمين ٧٤٧
- (١) مقدمة ٧٤٨
- (٢) العناصر الغازية ٧٥٠
- (٣) نتائج حققها الغزاة ٧٥٣
- (٤) خطوات العودة الحميدة ٧٥٥
- خاتمة ٧٥٩
- المراجع ٧٦١
- الفهرس ٧٦٥

آثار المؤلف

أولاً - في سلسلة أعداء الإسلام:

- (١) مكاييد يهودية عبر التاريخ ٤٤٠ صفحة
- (٢) صراع مع الملاحدة حتى العظم ٥٠٠ صفحة
- (٣) أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها. ٧٧٥ صفحة
- «التبشير والاستشراق والاستعمار»
- (٤) الكيد الأحمر. ٤٠٠ صفحة
- «دراسة واعية للشيوعية»
- (٥) غزو في الصميم.

«دراسة واعية للغزو الفكري والنفسي والخلقي والسلوكي»

- في مجالات التعليم المنهجي والتثقيف العام» ٣٣٤ صفحة
- (٦) كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة
- (٧) ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ مع دراسة شاملة للنصوص القرآنية في النفاق والمنافقين مجلدان ١٤٠٠ صفحة

ثانياً - في طريق الإسلام:

- (١) العقيدة الإسلامية وأسسها ٨٠٠ صفحة
- (٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها مجلدان ١٥٠٠ صفحة
- (٣) براهين وأدلة إيمانية (مع ديوان: آمنت بالله) ٥٠٠ صفحة
- (٤) الصيام ورمضان في السنة والقرآن.
- «دراسة في طريق بحوث فقه الكتاب والسنة»
- (٥) أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها
- (٦) روائع من أقوال الرسول.
- «دراسات لغوية وفكرية وأدبية» ٥٧٥ صفحة
- (٧) الأمة الربانية الواحدة ١٢٢ صفحة

٤٢٥ صفحة

(٨) ابتلاء الإرادة بالإيمان والإسلام والعبادة

ثالثاً - دراسات قرآنية:

٨٠٠ صفحة

(١) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل

٤٥٠ صفحة

(٢) تدبر سورة (الفرقان)

٢٩٠ صفحة

(٣) تفسير سورة (الرعد)

٤٠٠ صفحة

(٤) أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع

(٥) نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد.

٣٧٢ صفحة

«دراسة في طريق التفسير الموضوعي»

رابعاً - حول الأدب الإسلامي:

١٧٧ صفحة

(١) مبادئ في الأدب والدعوة

٨٠ صفحة

(٢) ديوان آمنت بالله (شعر)

١٢٥ صفحة

(٣) ديوان ترنيمات إسلامية (شعر) للنشيد

٢٥٥ صفحة

(٤) ديوان أقباس في منهاج الدعوة وتوجيه الدعاة

(٥) البلاغة العربية (أسسها وعلومها وفنونها وصور

مجلدان ١٢٠٠ صفحة

من تطبيقاتها بهيكل جديد من طريف وتليد)

خامساً - كتب متنوعة:

(١) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة

(٢) بصائر للمسلم المعاصر

.. وغير ذلك من متفرقات.

* * *